طريق الضلالة .. تَتَبُّع الشواذ والتنقيب عن الشبهات

التوحيد

مجلة إسلامية ثقافية شهرية تصدر عن جماعة أنصار السنة المحمدية
العدد ٦١٨ السنة الثانية والخمسون - جمادى الآخرة ١٤٤٤ هـ
الثمن ١٠ جنيهات

كمال الشريعة

لا إله إلا الله محمد رسول الله

الحفاظ على الهوية الإسلامية لدعم ومناصرة القضايا العربية

- العمل بالقرآن في غير رمضان
- احذروا الغيبة والنميمة
- دلائل النبوة من القرآن والسنة

بسم الله الرحمن الرحيم

فاعلم أنه لا إله إلا الله

رئيس مجلس الإدارة

أ. د. عبد الله شاكر الجنيدي

نائب رئيس مجلس الإدارة
والمشرف العام لمجلة التوحيد

د. عبد العظيم بدوي

أ. د. مرزوق محمد مرزوق

مستشار التحرير

جمال سعد حاتم

رئيس اللجنة العلمية

د. جمال عبد الرحمن

اللجنة العلمية

معاوية محمد هيكل

د. محمد عبد العزيز السيد

د. عاطف التاجوري

الاشتراك السنوي

١- في الداخل ٢٠٠ جنيه توضع في حساب المجلة رقم/ ١٩١٥٩٠ ببنك فيصل الإسلامي مع إرسال قسيمة الإيداع على فاكس المجلة رقم/ ٠٢٢٣٩٣٠٦٦٢

٢- في الخارج ٨٠ دولاراً أو ٤٠٠ ريال سعودى أو مايعادلهما

السلام عليكم

أحسن القَصَص

في سورة يوسف المباركة قال إخوة يوسف لأبيهم عندما كان لهم مصلحة شخصية مع أخيهم، قالوا: « أَرْسِلْ مَعَنَا أَخَانَا » ، فلما انقضت المصلحة قالوا لأبيهم: « إن ابنك سرق »، ولم يقولوا: إن أخانا سرق، فلا مجال للاستعطاف وقد انقضت المصلحة، وهكذا يفعل كثير من الناس، فعند خطوبة امرأة يقولون: نحن نجهزها ونذهب بها إليكم، فيقول الآخرون: ونحن نفرش لها الأرض وردًا، فإذا حدث خلاف فذهبت إلى أهلها قالوا: خلِّ بنتك عندك، وقال أهلها: تعالي سنزوجك سيده، وفي السورة نفسها قوله تعالى عنهم: « إِذْ قَالُوا لَيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَى أَبِينَا مِنَّا » ، فلم يحسدوه على المال، وإنما حسدوه على زيادة الحب والعطاء الروحي، فأعطيات الروح والقلب أثمن وأغلى من أعطيات اليد، فأعط أولادك وزوجتك ووالديك من حنانك وعطفك ورحمتك ورعايتك، فإنه أثمن وأغلى ما تقدمه لهم.

وفي السورة أيضًا شهادة النسوة اللاتي قطعن أيديهن: « قُلْنَ حَٰشَ لِلَّهِ مَا عَلِمْنَا عَلَيْهِ مِن سُوٓءٍ » (يوسف: ٥١)، يؤخذ من ذلك أن سيرتك في الناس وتاريخك يساندك في وقت الشدة إذا كان تاريخًا مشرفًا، فهي آثارك التي يراها الله والمؤمنون، ويكتبها الكرام الكاتبون.

وأخيرًا: « قَالُوٓا۟ أَءِنَّكَ لَأَنتَ يُوسُفُ ۖ قَالَ أَنَا۠ يُوسُفُ وَهَٰذَآ أَخِى » (يوسف: ٩٠)، ولم يقل أنا وزير مصر وعزيزها، بل ذكر اسمه خاليًا من أي صفة، فصاحب النفس الرفيعة لا يلتفت إلى المناصب والألقاب، « إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ » (الحجرات: ١٣).

التحرير

نقدم للقارئ الكريم كرتونة كاملة تحوي ٤٩ مجلداً
من مجلدات مجلة التوحيد عن ٤٩ سنة كاملة

فهرس العدد

التوحيد: الأصل الأعظم د. عبد الله شاكر ٢
باب التفسير د. عبد العظيم بدوي ٥
العمل بالقرآن في غير رمضان
د. مرزوق محمد مرزوق ٨
طريق الضلالة: تتبع الشواذ والتنقيب عن الشبهات
د. محمد عبد العزيز ١٢
احذروا الغيبة والنميمة
الشيخ صلاح نجيب الدق ١٧
أسباب النصر من خلال غزوة بدر
د. سيد عبد العال ٢١
دلائل النبوة من القرآن والسنة
الشيخ معاوية محمد هيكل ٢٤
وصية الرسول صلى الله عليه وسلم عند موته
الشيخ عبده أحمد الأقرع ٢٨
الحفاظ على الهوية الإسلامية
د. عبد الوارث عثمان ٣٢
واحة التوحيد علاء خضر ٣٦
دراسات شرعية د. متولي البراجيلي ٣٨
مدخل إلى علم التفسير د. عاطف التاجوري ٤١
باب الفقه د. حمدي طه ٤٣
فقه المرأة المسلمة د. عزة محمد رشاد ٤٦
احترام شعور الآخرين د. جمال عبد الرحمن ٥٠
تحذير الداعية من القصص الواهية
الشيخ علي حشيش ٥٣
نماذج تحتذى من أعلام وأئمة السلف
د. محمد عبد العليم الدسوقي ٥٨
منبر الحرمين د. ماهر المعيقلي ٦١
أيام الصبر الشيخ صلاح عبد الخالق ٦٤
دراسات قرآنية مصطفى البصراتي ٦٨
من روائع الماضي:
كمال الشريعة الشيخ محمد صفوت نور الدين ٧٠

جمعية أنصار السنة المحمدية

صاحبة الامتياز
جمعية أنصار السنة المحمدية

رئيس التحرير:
مصطفى خليل أبو المعاطي

رئيس التحرير التنفيذي:
حسين عطا القراط

مدير التحرير
إبراهيم رفعت أبو موته

الإخراج الصحفي:
أحمد رجب محمد
محمد محمود فتحي

إدارة التحرير ||
٨ شارع قولة عابدين. القاهرة
ت، ٢٣٩٣٦٥١٧، ـ فاكس ٢٣٩٣٠٦٦٢،

البريد الإلكتروني ||
MGTAWHEED@HOTMAIL.COM

ثمن النسخة

مصر ١٠ جنيهات ، السعودية ١٢ ريال ، الإمارات ١٢ دراهم ، الكويت ١ دينار ، المغرب ٢ دولار أمريكي ، الأردن ١ دينار ، قطر١٢ ريال ، عمان ١ريال عماني ، أمريكا ٤ دولار، أوروبا ٤ يورو

١٠٠٠ جنيهاً ثمن الكرتونة للأفراد والهيئات والمؤسسات
داخل مصر و٣٠٠ دولاراً خارج مصر شاملة سعر الشحن

منفذ البيع الوحيد
بمقر مجلة التوحيد
الدور السابع

التوحيد: الأصل الأعظم

الرئيس العام

د. عبد الله شاكر

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على إمام الأنبياء والمرسلين وسيد ولد آدم أجمعين وعلى آله وأصحابه، ومن سلك سبيلهم إلى يوم الدين. وبعد: فإن معرفة أصل الدين الذي بعث به النبي الأمين صلى الله عليه وسلم في غاية الضرورة؛ لأن به الفلاح والنجاح، والفوز في الدنيا والآخرة، ومن المعلوم من دين الإسلام بالضرورة أن الله تبارك وتعالى لم يترك خلقه هملاً، بل أمرهم بكل خير ونهاهم عن كل شر، وكان من أعظم ما أمرهم به هو عبادته وحده لا شريك له، وجعل ذلك حقًا له على عباده، كما قال تعالى: «وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ» (الذاريات: ٥٦).

وقد أرسل عز وجل رسله وأنزل كتبه ليبين للناس ما هو مطلوب منهم، وحصر التلقي في أمر الشرع والاعتقاد على الأنبياء والمرسلين، ولذلك أقول: لا يليق بمؤمن أن يتلقى اعتقادًا لا شرعًا، ولا حلالاً ولا حرامًا من غير الوحي الرباني، قال تعالى: «وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا ۚ مَا كُنتَ تَدْرِى مَا ٱلْكِتَٰبُ وَلَا ٱلْإِيمَٰنُ وَلَٰكِن جَعَلْنَٰهُ نُورًا نَّهْدِى بِهِۦ مَن نَّشَآءُ مِنْ عِبَادِنَا ۚ وَإِنَّكَ لَتَهْدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ» (الشورى: ٥٢).

فسمَّى تعالى وحيه روحًا؛ لأن به حياة القلوب، كما سمَّاه نورًا، لأنه يكشف ظلمات الجهل ويتميز به الحق من الباطل والهدى من الضلال، ولذلك لا تجد عقيدة صحيحة مستقيمة إلا إذا كانت متلقاة من الوحي الإلهي، وهذا من أعظم نعم الله على عباده، وأصل من الأصول المتفق عليه عند أهل السنة والجماعة. يقول ابن تيمية رحمه الله عنهم، وكان من أعظم ما أنعم الله به عليهم: اعتصامهم بالكتاب والسنة، فكان من الأصول المتفق عليها بين الصحابة والتابعين لهم باحسان أنه لا يقبل من أحد قط، أن يعارض القرآن، لا برأيه، ولا ذوقه، ولا قوله، ولا قياسه، ولا وجده، فإنهم ثبت عنهم بالبراهين القطعيات والآيات البينات أن الرسول صلى الله عليه وسلم جاء بالهدى ودين الحق، وأن القرآن يهدي للتي هي أقوم، ولم يكن السلف يقبلون معارضة الآية إلا بآية أخرى تفسرها وتنسخها، أو بسنة الرسول صلى الله عليه وسلم، تفسرها، فإن سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم تبين القرآن وتعبر عنه. (مجموع الفتاوى، ج١٣، ص٢٨).

وقد مكث النبي صلى الله عليه وسلم ثلاثة عشر عامًا في مكة، حفظها الله تعالى، يدعو الناس ويوضح لهم توحيد العبادة، واستمر الحال على ذلك في المدينة النبوية، إلى جانب التشريعات الإلهية، ويظهر لهم توحيد العبادة، واستمر الحال على ذلك في المدينة النبوية إلى جانب التشريعات الإلهية، ويظهر بذلك أهمية تحقيق التوحيد بصرف جميع ألوان العبادة لله وحده دون سواه، هو

أول الدين وآخره وظاهره وباطنه، ومن أجله أرسل الله الرسل وأنزل الكتب، وهو ما يجب أن يخرج به العبد من الدنيا، فتأتيه منيته وهو قائم بهذا التوحيد، قال الإمام البخاري رحمه الله في كتاب الجنائز من صحيحه: «باب في الجنائز، ومن كان آخر كلامه لا إله إلا الله». قال ابن حجر رحمه الله في شرحه: أشار بهذا إلى ما رواه أبو داود والحاكم من طريق كثير بن مرة الحضرمي عن معاذ بن جبل قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «من كان آخر كلامه لا إله إلا الله دخل الجنة». (فتح الباري، ج٣، ص١٠٩).

ولأهمية هذا الأمر أمر الله به جميع الأنبياء والمرسلين، كما قال رب العالمين: «وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِيٓ إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ» (الأنبياء: ٢٥)؛ فهذه الآية تقرر أن كل رسول بُعث إلى قومه دعاهم إلى عبادة الله وحده، قال ابن جرير رحمه الله: يقول تعالى ذكره: «وما أرسلنا يا محمد من قبلك من رسول إلى أمة من الأمم إلا نُوحي إليه أنه لا معبود في السماوات والأرض تصلح العبادة له سواي فاعبدون». (تفسير الطبري، ج١٢/١٧).

وقال ابن القيم رحمه الله: "فالتوحيد مفتاح دعوة الرسل، ولهذا قال النبي صلى الله عليه وسلم؛ لرسوله معاذ بن جبل رضي الله عنه، وقد بعثه إلى اليمن: «إنك تأتي قومًا أهل كتاب، فليكن أول ما تدعوهم إليه: عبادة الله وحده، فإذا شهدوا أن لا إله إلا الله، وأن محمدًا رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبرهم أن الله قد فرض عليهم خمس صلوات في اليوم والليلة»، وقال صلى الله عليه وسلم: «أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمدًا صلى الله عليه وسلم رسول الله»، ولهذا كان الصحيح: أن أول واجب يجب على المكلف شهادة أن لا إله إلا الله، لا النظر، ولا القصد إلى النظر، ولا الشك، كما في أقوال أرباب الكلام المذموم. (مدارج السالكين، ج٣، ص ٤٦٢).

ولذلك أقول: إن الشهادة لله بالوحدانية ولنبيه صلى الله عليه وسلم بالنبوة والرسالة هما أول مراتب الدين والأصل الأول من أصول الإسلام ويجب الإتيان بهما قبل الأحكام الشرعية، وقد ذكر ذلك نبينا صلى الله عليه وسلم، كما في حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه، أنه قال: «بينما نحن عند رسول الله صلى الله عليه وسلم، إذ طلع علينا رجل شديد بياض الثياب شديد سواد الشعر، لا يُرى عليه أثر السفر ولا يعرفه منا أحد، حتى جلس إلى النبي صلى الله عليه وسلم، فأسند ركبتيه إلى ركبتيه، ووضع كفيه على فخذيه، وقال: يا محمد: أخبرني عن الإسلام، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: الإسلام أن تشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله صلى الله عليه وسلم، وتقيم الصلاة، وتؤتي الزكاة، وتصوم رمضان، وتحج البيت إن استطعت إليه سبيلاً، قال: صدقت، فعجبنا له، يسأله ويصدقه». (رواه مسلم: ٨).

ويلاحظ أن النبي صلى الله عليه وسلم افتتح جوابه بأصل الدين وأساس الإسلام، وهو الشهادة لله بالوحدانية ولنبيه صلى الله عليه وسلم بالرسالة؛ لأن ذلك هو مفتاح الدخول في الإسلام، وفي أول أمر جاء في القرآن الكريم من الله لعباده هو دعوة الناس جميعًا إلى عبادة الله وحده دون سواه، كما قال تعالى: «يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿٢١﴾ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ فِرَٰشًا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءً وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزْقًا لَّكُمْ فَلَا تَجْعَلُوا۟ لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ» (البقرة: ٢١، ٢٢).

فهذا أمرٌ عام لجميع الناس أن يتوجهوا

بالعبادة لله وحده دون سواه، واستدل على وجوب عبادته وحده بأنه الخالق وحده، المُنعم على خَلْقه بالنعم الظاهرة والباطنة. قال الإمام الحافظ ابن كثير رحمه الله: شرع تبارك وتعالى في بيان وحدانية ألوهيته بأنه تعالى هو المنعم على عبيده بإخراجهم من العدم إلى الوجود، وإسباغه عليهم النعم الظاهرة والباطنة، بأن جعل لهم الأرض فراشًا، أي: مهدًا كالفراش مثبتة بالرواسي الشامخات، والسماء بناءً، وهو السقف، وأنزل من السماء ماءً، والمراد به السحاب عند احتياجهم إليه، فأخرج لهم به من أنواع الزروع والثمار ما هو مُشاهَد، ورزقًا لهم ولأنعامهم، كما قرّر هذا في غير موضع من القرآن، ومن أشبه آية بهذه الآية قوله تعالى: «اللهُ الَّذي جَعَلَ لَكُمُ الأَرْضَ قَرارًا والسَّماءَ بِناءً وَصَوَّرَكُمْ فأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ وَرَزَقَكُم مِنَ الطَّيِّبَاتِ ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ فَتَبارَكَ اللَّهُ رَبُّ العَالَمِينَ» ومضمونه أنه الخالق الرازق مالك الدار وساكنيها ورازقهم، فبهذا يستحق أن يعبد ولا يشرك به غيره، ولهذا قال: «فَلاَ تَجْعَلُوا لِلَّه أَنْدادًا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ». (تفسير ابن كثير، ج١/٩٩).

وهذا كلام دقيق من ابن كثير رحمه الله، ومن يتأمل الآية يجدها تدل على ذلك، فالناظر في الأرض وما عليها يجدها من أعظم آيات الله في كونه. فقد خلقها فراشًا ومهادًا وذلّلها لعباده، يعملون عليها وينتقلون فيها وجعل فيها أرزاقهم وأقواتهم، ثم إنه عز وجل أرساها بالجبال، وجعلها أوتادًا تحفظها، حتى لا تَميد بهم، كما قال تعالى: «أَلَمْ نَجْعَلِ ٱلْأَرْضَ مِهَٰدًا (٦) وَٱلْجِبَالَ أَوْتَادًا» (النبأ: ٦، ٧)، كما أشارت الآية إلى السماء التي رفعها الله بلا عمد، وأنزل منها الماء الذي يستفيد منه الإنسان والنبات والحيوان، وكل هذه بقدرة الخالق العليم، وإذا أرادت البشرية اليوم أن ترقى إلى السعادة الأبدية في الدنيا والآخرة، فما عليها إلا القيام بهذا الواجب العظيم، وهو توحيد رب العالمين.

يقول الشيخ عبد الرحمن السعدي رحمه الله في بيان ذلك: «وهذا الأصل أعظم الأصول على الإطلاق، وأكملها وأفضلها وأوجبها وألزمها لصلاح الإنسانية، وهو الذي خلق الله الجن والإنس لأجله، وخلق المخلوقات وشرع الشرائع لقيامه، وبوجوده يكون الصلاح، وبفقده يكون الشر والفساد، وجميع الآيات القرآنية إما أمر به، أو بحق من حقوقه، أو نهي عن ضده، أو إقامة حجة، أو بيان جزاء أهله في الدنيا والآخرة، أو بيان الفرق بينهم وبين المشركين، ويقال له توحيد الألوهية، فإن الألوهية وصفه تعالى الذي ينبغي أن يؤمن به كل بني آدم، ويوافقوا أنه الوصف الملازم له عز وجل الدال عليه الاسم العظيم، وهو الله، وهو مستلزم بجميع صفات الكمال». (القواعد الحسان، ١٦٢).

فاحرص يا عبد الله أن تعيش على التوحيد وأن تموت عليه، حتى تدخل الجنة، واحرص أن تكون في ذلك مقتديًا بالنبي صلى الله عليه وسلم، الذي كان يسأل ربه وحده ويتعبد له، وقد ذكر الله عز وجل ذلك عنه، فقال: «وَأَنَّهُۥ لَمَّا قَامَ عَبْدُ ٱللَّهِ يَدْعُوهُ كَادُوا۟ يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَدًا (١٩) قُلْ إِنَّمَآ أَدْعُوا۟ رَبِّى وَلَآ أُشْرِكُ بِهِۦٓ أَحَدًا» (الجن: ١٩- ٢٠).

وخلاصة القول: أن التوحيد هو الأساس، وأنه أهم المهمات في الدين، فيجب علينا أن نهتم به وندعو الناس إليه، ولنتأمل قول الله تعالى: « وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ » (النحل: ٥٣)، وقوله تعالى :« وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ قُلْ أَفَرَءَيْتُم مَّا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ إِنْ أَرَادَنِىَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَٰشِفَٰتُ ضُرِّهِۦٓ أَوْ أَرَادَنِى بِرَحْمَةٍ هَلْ هُنَّ مُمْسِكَٰتُ رَحْمَتِهِۦ قُلْ حَسْبِىَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ ٱلْمُتَوَكِّلُونَ » (الزمر: ٣٨).

أسأل الله تبارك وتعالى أن نلقى الله تعالى موحدين سالكين الصراط المستقيم، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

سُورَةُ الرُّوم

سُورَةُ الرُّوم
سُورَةُ الرُّوم

قال تعالى: « فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَٰلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ (٣٠) ۞ مُنِيبِينَ إِلَيْهِ وَاتَّقُوهُ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُشْرِكِينَ (٣١) مِنَ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ (٣٢) وَإِذَا مَسَّ النَّاسَ ضُرٌّ دَعَوْا رَبَّهُمْ مُنِيبِينَ إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَا أَذَاقَهُمْ مِنْهُ رَحْمَةً إِذَا فَرِيقٌ مِنْهُمْ بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ (٣٣) لِيَكْفُرُوا بِمَا آتَيْنَاهُمْ فَتَمَتَّعُوا فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ (٣٤) أَمْ أَنْزَلْنَا عَلَيْهِمْ سُلْطَانًا فَهُوَ يَتَكَلَّمُ بِمَا كَانُوا بِهِ يُشْرِكُونَ » (سورة الروم: ٣٠- ٣٥).

إعداد **د. عبد العظيم بدوي**

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين. وبعد: فقد وصلنا إلى قوله تعالى: «فطرة الله التي فطر الناس عليها»:

«فأقم وجهك للدين حنيفا فطرة الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ذلك الدين القيم ولكن أكثر الناس لا يعلمون»:

الفاء فصيحة، والتقدير: إذا تبين الأمر، وظهرت الوحدانية، ولم يهتد المشرك، فلا تلتفت أنت إليهم وأقم وجهك للدين، والأمر مستعمل في طلب الدوام. والمقصود: أن لا تهتم بإعراضهم، كقوله تعالى: « فَإِنْ حَاجُّوكَ فَقُلْ أَسْلَمْتُ وَجْهِيَ لِلَّهِ وَمَنِ اتَّبَعَنِ »(آل عمران ٢٠).

وإقامة الوجه هي تقويم المقصد، والقوة على الجد في أعمال الدين، وذكر الوجه لأنه جامع حواس الإنسان وأشرفه، و «حنيفا» صيغة مبالغة في الاتصاف بالحنف، وهو الميل، وغلب استعمال هذا الوصف في الميل عن الباطل، أي العدول عنه بالتوجه إلى الحق، أي عادلا ومنقطعا عن الشرك، كقوله تعالى: «قُلْ بَلْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ » (البقرة: ١٣٥).

وقوله تعالى: «فطرت الله التي فطر الناس عليها» قيل: نصب «فطرت الله» على المصدر، كقوله تعالى: « صِبْغَةَ اللَّهِ » (البقرة ١٣٨)، وقيل: نصب بفعل مضمر، تقديره: اتبع والتزم فطرت الله، كقوله تعالى: «مِلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ » (الحج ٧٨)، أي الزموا ملة أبيكم إبراهيم. والمراد بالفطرة الإسلام، لقول النبي صلى الله عليه وسلم: «ما من مولود إلا يولد على الفطرة، فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو

يُمَجِّسانه، كما تُنْتَجُ البهيمة بهيمة جمعاء هل تحسّون فيها من جدعاء» (صحيح البخاري ١٣٥٨). ولم يقل: أو يُسلمانه، لأنه يُولد مسلمًا.

وعن عياض بن حمار المجاشعي رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: ذات يوم في خطبته: «ألا إن ربي أمرني أن أعلمكم ما جهلتم مما علمني يومي هذا: كل مال نحلته عبدًا حلال، وإني خلقت عبادي حُنفاء كلهم، وإنهم أتتهم الشياطين فاجتالتهم عن دينهم، وحرمت عليهم ما أحللت لهم، وأمرتهم أن يشركوا بي ما لم أنزل به سلطانا» (صحيح مسلم ٢١٩٨).

وقوله تعالى: «لا تبديل لخلق الله» خبرٌ بمعنى النهي، أي لا تبدلوا خلق الله، ولا تتبعوا خطوات الشيطان، فقد حكى الله تعالى عنه أنه-لعنه الله- قال: «وَلَآمُرَنَّهُمْ فَلَيُغَيِّرُنَّ خَلْقَ اللَّهِ» (النساء ١١٩)، وفي حديث عياض السابق، قال الله تعالى: «وإني خلقت عبادي حُنفاء كلهم، وإنهم أتتهم الشياطين فاجتالتهم عن دينهم، وحرمت عليهم ما أحللت لهم، وأمرتهم أن يشركوا بي ما لم أنزل به سلطانا».

وقوله تعالى: «ذلك الدين القيم» أي التمسك بالشريعة والفطرة السليمة هو الدين القيم المستقيم. «ولكن أكثر الناس لا يعلمون ٣٠» أي فلهذا لا يعرفه أكثر الناس، فهم عنه ناكبون، كما قال تعالى: «وَمَا أَكْثَرُ النَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ» (يوسف: ١٠٣)، وقال تعالى: «وَإِن تُطِعْ أَكْثَرَ مَن فِي الْأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ» (الأنعام ١١٦). (تفسير القرآن العظيم ٣/٤٣٣).

«منيبين إليه واتقوه وأقيموا الصلاة ولا تكونوا من المشركين ٣١ من الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعا كل حزب بما لديهم فرحون ٣٢»:

قوله تعالى: «منيبين إليه» حال من المأمورين بإقامة وجوههم لله، وهم النبي صلى الله عليه وسلم ومن آمن معه، والتقدير: أقيموا وجوهكم لله حالة كونكم منيبين إليه، أي تائبين، راجعين، مستسلمين، منقادين، «واتقوه» بفعل ما أمركم به، وترك ما نهاكم عنه، ومن أعظم ما أمر الله به بعد التوحيد الصلاة، ولذلك خصها بالذكر فقال: «وأقيموا الصلاة»، وأعظم ما نهى عنه الشرك، ولذلك خصه بالذكر فقال: «ولا تكونوا من المشركين ٣١».

الحث على الاجتماع والنهي عن التفرق:

اثم وصف المشركين وصفا مشينا، ليحذر أهل التوحيد الوقوع فيه، فقال: «من الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعا كل حزب بما لديهم فرحون ٣٢»، أي «ولا تكونوا من المشركين ٣١» الذين قد فرقوا دينهم، أي بدلوه وغيروه، وآمنوا ببعض وكفروا ببعض، وقرأ بعضهم: فارقوا دينهم، أي تركوه وراء ظهورهم، وهؤلاء كاليهود والنصارى، والمجوس وعبدة الأوثان، وسائر أهل الأديان الباطلة، مما عدا أهل الإسلام، كما قال تعالى: «إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا لَّسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ إِنَّمَا أَمْرُهُمْ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ» (الأنعام: ١٥٩). فأهل الأديان قبلنا اختلفوا فيما بينهم على آراء ومثل باطلة، وكل فرقة منهم تزعم أنهم على شيء، وهذه الأمة أيضا اختلفوا فيما بينهم على نحل كلها ضلالة إلا واحدة، وهم أهل السنة والجماعة، المتمسكون بكتاب الله وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم، وبما كان عليه الصدر الأول من الصحابة والتابعين، وأئمة المسلمين في قديم الدهر وحديثه، كما رواه الترمذي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سئل عن الفرقة الناجية منهم؟ فقال «ما أنا عليه وأصحابي» (صحيح سنن الترمذي: ٢٦٤١).

والآيات في الأمر بالاجتماع والنهي عن التفرق كثيرة: قال تعالى: «وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا» (آل عمران ١٠٣)، ثم قال تعالى: «وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِن بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَأُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ» (آل عمران: ١٠٥)، وقال تعالى: «شَرَعَ لَكُم مِّنَ الدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا

وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ كَبُرَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ اللَّهُ يَجْتَبِي إِلَيْهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ يُنِيبُ » (الشورى: ١٣)، وقال تعالى: « وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ » (الأنعام: ١٥٣).

حال النّاس في الضّراء والسّراء:

« وإذا مسَّ النّاسَ ضرٌّ دعوا ربَّهم منيبين إليه ثمَّ إذا أذاقهم منه رحمةً إذا فريقٌ منهم بربّهم يشركون ٣٣ ليكفروا بما آتيناهم فتمتّعوا فسوف تعلمون ٣٤ »:

« وإذا مسَّ النّاس » أي المشركين، « ضرٌّ » كمرض، أو جدب، أو قحط، أو نقص في الأموال والثّمرات، « دعوا ربّهم منيبين إليه » أي لم يجدوا من يرجعون إليه بالسّؤال، ويلجئون إليه بالدّعاء، إلا الله، كما قال تعالى: « قُلْ أَرَأَيْتَكُمْ إِنْ أَتَاكُمْ عَذَابُ اللَّهِ أَوْ أَتَتْكُمُ السَّاعَةُ أَغَيْرَ اللَّهِ تَدْعُونَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٤٠﴾ بَلْ إِيَّاهُ تَدْعُونَ فَيَكْشِفُ مَا تَدْعُونَ إِلَيْهِ إِنْ شَاءَ وَتَنْسَوْنَ مَا تُشْرِكُونَ » (الأنعام: ٤٠، ٤١).

« ثمّ إذا أذاقهم منه رحمةً إذا فريقٌ منهم بربّهم يشركون ٣٣ » والتّعبير بالإذاقة للدّلالة على سرعة رجوعهم إلى الشّرك، وعبادة الأصنام التي نسوها في وقت الشّدة، لاعتقادهم أنها لا تدفع ضرًا، ولا تجلب نفعًا، كما يدل عليه أيضا « إذا » الفجائيّة، فهم بمجرد أن يشعروا ببداية الانفراج، وزوال الشّدة، وانكشاف الغمّة، يرجعون إلى ما كانوا عليه من قبل، من الشّرك بالله عز وجل، ونسوا من كانوا يدعونه بإخلاص وإلحاح، كما قال تعالى: « وَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ ضُرٌّ دَعَا رَبَّهُ مُنِيبًا إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَا خَوَّلَهُ نِعْمَةً مِنْهُ نَسِيَ مَا كَانَ يَدْعُو إِلَيْهِ مِنْ قَبْلُ وَجَعَلَ لِلَّهِ أَنْدَادًا لِيُضِلَّ عَنْ سَبِيلِهِ قُلْ تَمَتَّعْ بِكُفْرِكَ قَلِيلًا إِنَّكَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ » (الزمر: ٨).

واللّامُ في قوله تعالى « ليكفروا » هي لامُ العاقبة، أو لامُ التّعليل، أو لامُ الأمر للتّهديد.

ثمّ توعّدهم الله تعالى فقال: « فتمتّعوا فسوف تعلمون ٣٤ » عاقبة الشّرك والكفر، وسوف تعلمون عاقبة التّمتع بنعمة الله وعدم الشّكر، كما قال تعالى « قُلْ تَمَتَّعْ بِكُفْرِكَ قَلِيلًا إِنَّكَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ » (الزمر: ٨)، وقال تعالى: « أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ بَدَّلُوا نِعْمَتَ اللَّهِ كُفْرًا وَأَحَلُّوا قَوْمَهُمْ دَارَ الْبَوَارِ ﴿٢٨﴾ جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا وَبِئْسَ الْقَرَارُ ﴿٢٩﴾ وَجَعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا لِيُضِلُّوا عَنْ سَبِيلِهِ قُلْ تَمَتَّعُوا فَإِنَّ مَصِيرَكُمْ إِلَى النَّارِ » (إبراهيم: ٢٨-٣٠)، وقال تعالى: « وَيَوْمَ يُعْرَضُ الَّذِينَ كَفَرُوا عَلَى النَّارِ أَذْهَبْتُمْ طَيِّبَاتِكُمْ فِي حَيَاتِكُمُ الدُّنْيَا وَاسْتَمْتَعْتُمْ بِهَا فَالْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنْتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَبِمَا كُنْتُمْ تَفْسُقُونَ » (الأحقاف: ٢٠).

قال بعض الصّالحين: والله لو توعّدني حارسُ دربٍ لخفتُ منه، فكيف والمتوعّد هاهنا هو الّذي يقول للشّيء كن فيكون؟ (تفسير القرآن العظيم: ٣/٤٣٤).

الظّنّ هو أساس عقيدة المشركين:

« أم أنزلنا عليهم سلطانًا فهو يتكلّم بما كانوا به يشركون ٣٥ »:

يقول تعالى منكرًا على المشركين عبادة غيره بلا دليل ولا حجّة ولا برهان: « أم أنزلنا عليهم سلطانًا » أي حجّة وبرهانًا، « فهو يتكلّم » أي ينطق « بما كانوا به يشركون ٣٥ » ويشهد أنهم على الحق المبين؟! وهذا استفهام إنكار، أي لم يكن لهم شيءٌ من ذلك، كما قال تعالى: « أَفَرَأَيْتُمُ اللَّاتَ وَالْعُزَّى ﴿١٩﴾ وَمَنَاةَ الثَّالِثَةَ الْأُخْرَى ﴿٢٠﴾ أَلَكُمُ الذَّكَرُ وَلَهُ الْأُنْثَى ﴿٢١﴾ تِلْكَ إِذًا قِسْمَةٌ ضِيزَى ﴿٢٢﴾ إِنْ هِيَ إِلَّا أَسْمَاءٌ سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَمَا تَهْوَى الْأَنْفُسُ وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مِنْ رَبِّهِمُ الْهُدَى » (النجم: ١٩-٢٣) أي فأعرضوا عنه، « وَكَذَّبُوا وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ » (القمر ٣)، وهذا شأن المشركين في كل زمانٍ ومكانٍ، ولذلك قال يوسف عليه السلام لصاحبيه في السّجن: « يَا صَاحِبَيِ السِّجْنِ أَأَرْبَابٌ مُتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ ﴿٣٩﴾ مَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِهِ إِلَّا أَسْمَاءً سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ إِنِ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ » (يوسف: ٣٩-٤٠).

وللحديث بقية إن شاء الله.

والحمد لله رب العالمين.

العمل بالقرآن في غير رمضان

إعداد أ.د. مرزوق محمد مرزوق
نائب المشرف العام

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده؛ سيدنا محمد وآله وصحبه وحزبه، وبعد:

فإننا قد اعتدنا في استقبال شهر رمضان من كل عام أن نُعدَّ لذلك عددًا خاصًا عن رمضان وما يستقبل به من العبادات لا سيما مزيد العناية بالقرآن، وكنت قد استأنست عندما استأذنت أصحاب الفضيلة لجنتنا العلمية الموفقة -زادها الله توفيقًا- أن أبدأ في سلسلة مقالات تذكيرية بعبادات ننشط لها في رمضان -ورمضان جدير بهذا-، غير أننا أردنا أن نعطيها من حقها المسلوب في غيره من الأيام.

ولقد تكلمنا في الحلقة السالفة عن القرآن وبيان أنه وحي من الله تحدّى به الخلق مجتمعين وهو كلام الله غير مخلوق، وهذا يستدعي التعبد إلى الله تعالى به تعلمًا وتعليمًا علمًا وعملاً وتلاوة، وحديثنا اليوم عن اغتباط صاحب القرآن.

الحديث

روى البخاري في صحيحه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «لَا حَسَدَ إِلَّا فِي اثْنَتَيْنِ: رَجُلٌ عَلَّمَهُ اللَّهُ الْقُرْآنَ فَهُوَ يَتْلُوهُ آنَاءَ اللَّيْلِ وَآنَاءَ النَّهَارِ، فَسَمِعَهُ جَارٌ لَهُ، فَقَالَ: لَيْتَنِي أُوتِيتُ مِثْلَ مَا أُوتِيَ فُلَانٌ فَعَمِلْتُ مِثْلَ مَا يَعْمَلُ، وَرَجُلٌ آتَاهُ اللَّهُ مَالًا فَهُوَ يُهْلِكُهُ فِي الْحَقِّ، فَقَالَ رَجُلٌ: لَيْتَنِي أُوتِيتُ مِثْلَ مَا أُوتِيَ فُلَانٌ فَعَمِلْتُ مِثْلَ مَا يَعْمَلُ».

أولا: التخريج:

- رواه البخاري في كتاب فضائل القران باب اغتباط صاحب القران رقم ٤٧٣٨ ج٤/٩١٩.
- ورواه البخاري، كتاب التوحيد، باب قول النبي صلى الله عليه وسلم: "رجل آتاه الله القرآن فهو يقوم به آناء الليل وآناء النهار، ورجل يقول: لو أوتيت مثل ما أوتي هذا فعلت كما يفعل رقم (٧٥٢٧).
- وفي فتح الباري شرح صحيح البخاري، باب قول النبي صلى الله عليه وسلم رجل آتاه الله القرآن فهو يقوم به آناء الليل وآناء النهار، رقم ٧٠٣٠.

ثانيا: المعنى العام للحديث:

الدنيا مزرعة الآخرة والموفق من استفاد من تلكم الحقيقة فجعل عمره عمارًا لبرزخه وأخراه.

والنص الشريف يرشد إلى بابين من أبواب الخير باعتبارهما من أهم الأبواب، باب التشرف بتحمل القرآن بحقه وميدان الإنفاق في سبيل الله؛ فيعلمنا أنه لا غبطة محمودة ولا يليق بمسلم أن يتطلع أو يتمنى فضلاً تفضل الله به على مسلم إلا في حالتين: حالة عبدِ علمه الله القرآن فعمل به علمًا وعملاً ودعوةً وتعبدًا، ورجل رزقه الله المال فسلطه على هلكته في الحق فسلك في ماله مسلك العبودية فيه وميادينها كثيرة والموفق من استعمل ماله لله فجعله بلاغا لرضاه جل في علاه.

ثالثا: شرح ألفاظ الحديث:

قوله صلى الله عليه وسلم: "لا حسد إلا في اثنتين": "لا" نافية للجنس واسمها "حسد" مبني على الفتح في محل نصب وخبرها محذوف تقديره "محمود" أو مرخص به شرعًا إلا في خصلتين وحالتين، والمستثنى منه محذوف أي: لا حسد في شيء من الأشياء أو في خصلة من الخصال إلا في خصلتين. والمراد من الحسد الغبطة وهي تمني مثل ما عند الغير وهي محمودة شرعًا بخلاف الحسد الذي هو تمني زوال نعمة الغير وهو محرم شرعًا، ولعله عبر عن الغبطة بالحسد للمشابهة بينهما من بعض الوجوه.

> "الدنيا مزرعة الآخرة والموفق من استفاد من تلكم الحقيقة فجعل عمره عمارًا لبرزخه وأخراه."

قوله صلى الله عليه وسلم: "رجل" بالرفع والجر وهو على كل منهما قائم مقام المضاف المحذوف أي خصلة رجل: فالرفع خبر مبتدأ محذوف أي إحداهما خصلة رجل والجر على البدلية من "اثنين"، وذكر الرجل ليس للاحتراز عن المرأة وانما ذكره للتمثيل فالحكم يعم النساء.

قوله صلى الله عليه وسلم: "علمه الله القرآن فهو يتلوه": علمه قراءته حفظًا أو قراءة، والمراد العمل به مع التلاوة بدليل رواية ابن عمر "فهو يقوم به" وتلاوته أعم من أن تكون في صلاة أو في غير صلاة، وتلاوته تقتضي فقهًا وموعظة وعملاً.

قوله صلى الله عليه وسلم: "آناء الليل وآناء النهار"، أي: ساعات الليل وساعات النهار وليس المقصود استغراق جميع الأوقات بالقراءة حتى لا ينام أو لا يأكل أو لا يشتغل بأمر دنياه، بل المراد المبالغة في كثرة القراءة و"آناء" جمع "إني" بكسر الهمزة وفتح النون منونة كأمعاء جمع معي.

قوله صلى الله عليه وسلم: "فسمعه جار له" ذكر "جار" مبني على الغالب لأنه

الذي يسمع في جميع أحواله غالبًا. قلت: "وفي رواية كتاب التوحيد فسمعه رجل" والمراد فسمعه، أي: عبد من عباد الله.

قوله صلى الله عليه وسلم: "ليتني أوتيت مثل ما أوتي فلان فعملت مثل ما يعمل": التمني للأمرين معًا والغبطة في اجتماعهما.

قوله صلى الله عليه وسلم: "آتاه الله مالاً"، نكرة تفيد الشيوع فيقع على القليل والكثير وعلى أي ممول تجارة وزراعة وصناعة أقواتًا وغير أقوات.

قوله صلى الله عليه وسلم: "فهو يهلكه"، أي ينفقه والتعبير بالإهلاك للإشارة إلى استنفاده كله، والإسراف في الخير محمود.

قوله صلى الله عليه وسلم: "في الحق" قيد للاحتراز عن التبذير المذموم.

مما يستفاد من الحديث

جواز الغبطة في الخير، الحسد قسمان: قال النووي رحمه الله: «قال العلماء: الحسد قسمان: حقيقيٌّ، ومَجازيٌّ. فالحقيقيُّ: تمنِّي زوال النِّعمة عن صاحبها، وهذا حرام بإجماع الأمَّة مع النُّصوص الصَّحيحة، وأمَّا المَجازي: فهو الغبطة وهو أن يتمنَّى مِثْلَ النِّعمة التي على غيره من غير زوالها عن صاحبها، فإنْ كانت مِنْ أمور الدُّنيا كانت مباحة، وإن كانت طاعةً فهي مستحبة. والمرادُ بالحديث: لا غِبْطَةَ محبوبةٌ إلَّا في هاتين الخصلتين، وما في معناهما. فالغبطة ليست بحرام، بل رُبَّما كانت واجبة أحيانًا، أو مندوبة، أو مباحة في أحيان أخرى، والله تعالى يقول: « وَفِي ذَٰلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ ٱلْمُتَنَٰفِسُونَ » (المطففين: ٢٦)، ويقول تعالى: « سَابِقُوٓا۟ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ » (الحديد: ٢١)، والمسابقة منافسة، والمنافسة غبطة. ولكن مجرَّد التَّمني والغبطة لا يكفي بحال من الأحوال ما دام المسلم قادرًا على أن يكون خيرًا مما هو فيه، وآتاه الله تعالى من الوسع والطَّاقة والأسباب التي تُعينه على تحصيل القرآن والعلم الشَّرعي، ثم قعد يتمنَّى فقط. فهذا التَّمنِّي لا يُقدِّم ولا يُؤخِّر».

> “ الغبطة ليست بحرام، بل رُبَّما كانت واجبة أحيانًا، أو مندوبة، أو مباحة في أحيان أخرى. ”

فضل قراءة القرآن، وما أدراك ما فضله! فليتفضل القارئ الحبيب بكتابة الفائدة كعنوان بحثي، ثم لينظر ما سيأتيه من خير.

فضل الإنفاق في سبيل الله، وأن المبالغة فيه لا تُعد تبذيرًا خلافًا لما أصَّلته الشياطين في نفوس المخالفين من الدعوة لقلب المفاهيم فينهون عن الإحسان بنية الوسطية ويأمرون بالطغيان والعدوان بقصد التقدمية وذلك خلافًا لقول الصدق وأمر الحق.

الحث على التنافس في الخيرات، والتسابق للكرامات والجنات.

فضل تعلم العلم والعمل به، وهو علم الكتاب والسنة، وقد وردت في ذلك نصوص كثيرة فهو باب واسع يُرجى التفضل بالمراجعة للاستزادة.

إن كثرة المال ليست مذمومة على كل حال، وإنما يتعلق الذم بكسبه من غير حله، أو إنفاقه في غير محله، فأما من عمل فيه بطاعة الله فذلك مما يتنافس فيه المتنافسون، وفي الحديث: «نِعِمَّا بِالْمَالِ الصَّالِحِ لِلرَّجُلِ الصَّالِحِ».

إن المدح المذكور في الحديث إنما يقع لمن أنفق ماله في الحق وبالغ في إنفاقه، وفي الحديث: «مَا يَسُرُّنِي أَنَّ لِي أُحُدًا ذَهَبًا تَأْتِي عَلَيَّ ثَالِثَةٌ، وَعِنْدِي مِنْهُ دِينَارٌ إِلاَّ دِينَارٌ أَرْصُدُهُ لِدَيْنٍ عَلَيَّ».

مثل هذه الأحاديث توقفنا على بعض

“الأقـرأ لكتاب الله تشتمل على العلم والعمل مع الحفظ والإتـقـان للكتاب العظيم.”

مناقب الصحابة بمطالعة سيرهم العطرة في ذلك.

فضل النية الصادقة، وأن العبد يبلغ بها مراتب العاملين وإن لم يعمل عملهم، وحديث إنما الأعمال بالنيات نتدارسه كل يوم من الإنبات إلى الممات.

فائدة تربوية: القراء الذين آتاهم الله القرآن كانوا علماء لذا فإن الأقرأ لكتاب الله تشتمل على العلم والعمل مع الحفظ والإتقان للكتاب العظيم وأيام النبي صلى الله الله عليه وسلم لا يتصور أن القراء مجرد أصوات وأبواق لرسم المصحف، إذ كانوا لا يجاوزون خمس آيات أو عشر آيات حتى يتعلموا ما فيها من العلم والعمل، والنبي صلى الله عليه وسلم يقول: يؤم القوم أقرؤهم لكتاب الله، فهو الأعلم، وكان الرجل إذا قرأ البقرة وآل عمران جل أو جدّ في أعينهم، ومن هنا يفهم قول النبي صلى الله عليه وسلم: (يؤم القوم أقرؤهم لكتاب الله....الحديث) رواه مسلم .

فائدة: من تفضل الله ومحاسن الشريعة أن الله تعالى مع كونه حكمًا عدلاً فهو جواد كريم يتفضل على عباده كلهم بالعطاء فلا يحرم إنسانًا من الخير إذا صلحت النوايا تجاه هذا الخير، وعندنا في هذا سنة، روى الترمذي في سننه في هذا المعنى حديثًا جليلًا قال فيه صلى الله عليه وسلم: «ثَلاثٌ أُقْسِمُ عَلَيْهِنَّ وَأُحَدِّثُكُمْ حديثًا فَاحْفَظُوهُ»، قالَ: «مَا نَقَصَ مَالُ عَبْدٍ مِنْ صَدَقَةٍ، وَلا ظُلِمَ عَبْدٌ مَظْلَمَةً صَبَرَ عَلَيْهَا إِلَّا زَادَهُ اللَّهُ عِزًّا، وَلا فَتَحَ عَبْدٌ بَابَ مَسْأَلَةٍ إِلَّا فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْهِ بَابَ فَقْرٍ -أَوْ كَلِمَةً نَحْوَهَا، وَأُحَدِّثُكُمْ حَدِيثًا فَاحْفَظُوهُ»، فَقَالَ: «إِنَّمَا الدُّنْيَا لأَرْبَعَةِ نَفَرٍ: عَبْدٍ رَزَقَهُ اللَّهُ مَالًا وَعِلْمًا فَهُوَ يَتَّقِي فِيهِ رَبَّهُ وَيَصِلُ فِيهِ رَحِمَهُ وَيَعْلَمُ لِلَّهِ فِيهِ حَقًّا؛ فَهَذَا بِأَفْضَلِ الْمَنَازِلِ، وَعَبْدٍ رَزَقَهُ اللَّهُ عِلْمًا وَلَمْ يَرْزُقْهُ مَالًا فَهُوَ صَادِقُ النِّيَّةِ، يَقُولُ: لَوْ أَنَّ لِي مَالًا لَعَمِلْتُ بِعَمَلِ فُلَانٍ، فَهُوَ بِنِيَّتِهِ؛ فَأَجْرُهُمَا سَوَاءٌ، وَعَبْدٍ رَزَقَهُ اللَّهُ مَالًا وَلَمْ يَرْزُقْهُ عِلْمًا، يَخْبِطُ فِي مَالِهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ، لَا يَتَّقِي فِيهِ رَبَّهُ وَلَا يَصِلُ فِيهِ رَحِمَهُ وَلَا يَعْلَمُ لِلَّهِ فِيهِ حَقًّا؛ فَهَذَا بِأَخْبَثِ الْمَنَازِلِ، وَعَبْدٍ لَمْ يَرْزُقْهُ اللَّهُ مَالًا وَلَا عِلْمًا، فَهُوَ يَقُولُ: لَوْ أَنَّ لِي مَالًا لَعَمِلْتُ فِيهِ بِعَمَلِ فُلَانٍ؛ فَهُوَ بِنِيَّتِهِ، فَوِزْرُهُمَا سَوَاءٌ». وبذلك لم يحرم الأجر لا غني ولا فقير. (مستفاد بعضه من «شرح رياض الصالحين» ٣/ ٤٣٣- ٤٣٦).

ومن العمل بالقرآن: وهذا ما أعنيه في المقام الأول من الحديث في هذا الشهر وهو التبكير بأعمال رمضان إذ ما إن يقدم شهر رمضان إلا وترى المصاحف قد نُشرت بين أيدي الصائمين، لتلاوة القرآن، وهُرع كل حريص إلى مصحفه الذي كان قد خاصمه منذ ما يقارب العام، فينفض التراب الذي كسا أوراقه، ويأخذ في تلاوة الآيات في سباق لاهث محموم، يسابق عقارب الساعات، عساه ينتهي من ختمة، بل ختمات قبل أن يلملم رمضان رحاله، ويستقبل الناس شهر شوال بأحواله. وهذا أمر، لا شك أنه محمود، فمن يمكنه أن يشكك في قدسية الشهر الفضيل! لكن غير المحمود، أن يدخر كل عام هذا فقط لرمضان، ثم في غير رمضان واقعنا بعيد وحالنا لا يخفى على ناقد بصير؛ فالله الله في كتاب الله علمًا وعملاً.

والحمد لله رب العالمين.

طريق الضلالة..
تَتَبُّع الشواذ والتنقيب عن الشبهات

إعداد د. محمد عبد العزيز

«الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَل لَّهُ عِوَجًا (١) قَيِّمًا لِّيُنذِرَ بَأْسًا شَدِيدًا مِّن لَّدُنْهُ وَيُبَشِّرَ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا حَسَنًا (٢) مَّاكِثِينَ فِيهِ أَبَدًا» (الكهف:١-٣)، وصلى الله على سيدنا محمد خاتم النبيين، وعلى آله الطيبين، وبعد: فمن المعلوم من دين الإسلام بالضرورة:

١ ـ وجوب اتباع الوحيين: الكتاب، والسُّنة؛ فهما المصدران الأصليان للتشريع.

٢ ـ حرمة الخروج عنهما، ومعارضتهما بالآراء المجردة عن الدليل اتباعًا للأهواء. قال الله تعالى: «اتَّبِعُوا مَا أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ وَلَا تَتَّبِعُوا مِن دُونِهِ أَوْلِيَاءَ» (الأعراف: ٣).

وقال لنبيه صلى الله عليه وسلم: «ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٍ مِّنَ الْأَمْرِ فَاتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ (١٨) إِنَّهُمْ لَن يُغْنُوا عَنكَ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَإِنَّ الظَّالِمِينَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُتَّقِينَ» (الجاثية: ١٨، ١٩).

وقال له وللأمة من بعده: «فَاسْتَمْسِكْ بِالَّذِي أُوحِيَ إِلَيْكَ إِنَّكَ عَلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ (٤٣) وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ وَسَوْفَ تُسْأَلُونَ» (الزخرف: ٤٣، ٤٤).

٣ ـ وجعل الله تعالى الخروج عن هذا المنهاج تفرقًا وضلالة، فقال: «وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا» (آل عمران: ١٠٣).

هذا القدر متفق عليه بين سائر الأمة، لا يختلفون فيه، وقد نُقل على ذلك الإجماع، قال ابن حزم في مراتب الإجماع (ص: ١٧٥):

١- واتفقوا: أنه لا يحل ترك ما صح من الكتاب والسنة والاقتصار على ما اقتصر عليه فقط.

٢- واتفقوا أن كلام رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا صح أنه كلامه بيقين فواجب اتباعه.

٣- وقال: واتفقوا: أنه لا يحل لأحد أن يحلل، ولا أن يحرم، ولا أن يوجب حكمًا بغير دليل من: قرآن، أو سنة، أو إجماع، أو نظر.

٤- وقال في مراتب الإجماع (ص: ١٧٤): "واتفقوا: أنه مذ مات النبي صلى الله عليه وسلم فقد انقطع الوحي، وكمل الدين

واستقر، وأنه لا يحل لأحد أن يزيد شيئًا من رأيه بغير استدلال منه، ولا أن ينقص منه شيئًا، ولا أن يبدل شيئًا مكان شيء، ولا أن يحدث شريعة، وأن من فعل ذلك كافر".

وسارت الأمة على هذا النهج منذ عهد النبي صلى الله عليه وسلم إلى وقتنا هذا يأخذون أحكام شريعتهم من الوحيين وما تفرع عنهما من الأدلة بالنظر الاستدلالي، فانقسمت المسائل التي تكلموا فيها بالنظر الاستدلالي إلى أربعة أقسام في الجملة:

القسم الأول: مسائل اتفقت عليها كلمة علماء الأمة المجتهدين في عصر من العصور، وهي المسائل المجمع عليها: فقطع الإجماع فيها باب النظر والاستدلال، وقطع فيها باب الاختلاف، فلا يجوز لأحد إحداث قول آخر فيها، فيكون إحداث قول فيها شذوذًا وإحداثًا في الدين، وفاعله مشاق لله ورسوله متبع غير سبيل المؤمنين داخل تحت قوله تعالى: « وَمَن يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِۦ جَهَنَّمَ وَسَآءَتْ مَصِيرًا » (النساء: ١١٥).

قال ابن تيمية في مجموع الفتاوى (١٩ / ٢٧٠): إن الإجماع المعلوم يكفر مخالفه، كما يكفر مخالف النص بتركه، ولكن هذا لا يكون إلا فيما علم ثبوت النص به.

القسم الثاني: مسائل واضحة الدلالة في الوحيين اجتمع جمهور الأمة فيها على قول، وشذّ عنهم مخالفون من علماء الأمة: إمّا لخفاء الدليل عليهم، وإما لخفاء دلالته مع العلم به، وإما لغفلة تامة عن الدليل تحول بين الفاضل وبين تصور الحق ومعرفته والعلم به، وإما لهوى يصده عن قصد الحق وإرادته واتباعه مع العلم بالدليل، فعدت الأمة هذه النوادر كلها شذوذًا لا يجوز متابعة قائليها عليها، ولا الأخذ بها.

وقد عرف الدكتور: صالح الشمراني القول الفقهي الشاذ بأنه: "التفرُّد بقولٍ مخالفٍ للحق بلا حجة معتبرة. الأقوال الشاذة في بداية المجتهد (ص ٤٤).

ومعرفة الشذوذ مهم لطالب العلم حتى يميز بين التفرد عن الجمهور بحجة معتبرة والتفرد عنهم بقول غير معتبر.

ومن أمثلة الأقوال الشاذة، قول ابن قدامة في المغني (٨/ ٤٠٢): قال ابن المنذر، وابن عبد البر: أجمع أهل العلم على أن دية المرأة نصف دية الرجل.

وحكى غيرهما عن ابن علية، والأصم، أنهما قالا: ديتها كدية الرجل؛ لقوله عليه السلام: «في نفس المؤمنة مائة من الإبل»، وهذا قول شاذ، يخالف إجماع الصحابة.

فهذا القول وما ماثله من الأقوال مما يخالف الإجماع أو الدليل الصريح من الوحيين لا يجوز لأحد اعتباره ولا تقليده ولا العمل به.

قال الأوزاعي: من أخذ بنوادر العلماء خرج من الإسلام. تذكرة الحفاظ للذهبي (١/ ١٣٥).

وقال الأوزاعي أيضًا: ومن تتبع رخص المذاهب، وزلات المجتهدين، فقد رقّ دينه.

كما قال الأوزاعي أو غيره: من أخذ بقول المكيين في المتعة، والكوفيين في النبيذ، والمدنيين في الغناء، والشاميين في عصمة الخلفاء، فقد جمع الشر.

قال الذهبي: وكذا من أخذ في البيوع الربوية بمن يتحيل عليها، وفي الطلاق ونكاح التحليل بمن توسّع فيه، وشبه ذلك، فقد تعرض للانحلال. فنسأل الله العافية والتوفيق. سير أعلام النبلاء ط الرسالة (٨/ ٩٠).

وقال سليمان التيمي: إن أخذت برُخصة كل عالم اجتمع فيك الشر كله.

قال أبو عمر ابن عبد البر: هذا إجماع لا أعلم فيه خلافًا، والحمد لله. جامع بيان العلم وفضله (٢/ ٩٢٧).

وقال ابن حزم في مراتب الإجماع (ص:

١٧٥)؛ واتفقوا أن طلب رُخص كل تأويل بلا كتاب ولا سنة فسق لا يحل.

القسم الثالث: مسائل غير واضحة الدلالة في الوحيين للنظر الاستدلالي فيها نصيب ذهب جمهور الأمة فيها إلى قول، وذهب بعض أهل العلم فيها إلى غيره نظرًا واستدلالاً، فليس أحد النظرين فيها بأولى من الآخر، فانفتح فيها بباب النظر الاستدلالي وباب الموازنة بين القولين أو الأقوال واختيار أولى القولين فيها بالصواب.

ومن أمثلة هذه المسائل: مسألة قراءة الحائض للقرآن:

فالجمهور من الحنفية والشافعية والحنابلة على أنه يحرم عليها قراءة القرآن قراءة تعبد حتى تطهر ولا يستثنى من ذلك إلا ما كان على سبيل الذكر والدعاء.

وذهب المالكية، وداود الظاهري ورواية عن أبي حنيفة وأحمد وهو اختيار البخاري وابن تيمية إلى جواز قراءتها للقرآن. [ينظر: الإنصاف، للمرداوي (٢ / ١٠٨)، شرح ابن بطال على صحيح البخاري (١ /٤٢٢)، ومجموع الفتاوى لابن تيمية جمع ابن القاسم (٢١ / ٤٦٠).

القسم الرابع: مسائل غير واضحة الدلالة في الوحيين للنظر الاجتهادي فيها نصيب اختلفت فيها أنظار الأمة إلى قولين أو أقوال، فانفتح فيها باب الاستدلال والمناظرة والحجاج بين فقهاء الأمة.

ومن أمثلة هذه المسائل: مسألة شركة الأبدان؛ ومعنى شركة الأبدان، أن يشترك اثنان أو أكثر فيما يكتسبونه بأيديهم، كالصُناع يشتركون على أن يعملوا في صناعتهم، فما رزق الله تعالى فهو بينهم. فهذه الشركة أجازها الحنابلة والمالكية، ولم يجزها الشافعية والظاهرية. [المغني، لابن قدامة (٥ / ٤)، والمهذب مع المجموع للشيرازي (١٣ /٨٨)، والمحلى لابن حزم (٨ /١٢٢).

وقد تنزل بالمسلمين نوازل حدثت لم تكن في الأمة قبل حدوثها، فليس للأمة فيها قول سابق، لكنها تدخل تحت هذه الأقسام الأربعة السابقة.

ومن أمثلة هذه المسائل: مسألة الحقن المجهري تحديدًا لجنس الجنين أصالة أو تبعًا، فهي من المسائل النازلة.

فالقسم الأول والثاني المخالفة فيهما شذوذ لا يجوز الإقدام عليه لعاقل يرجو الدار الآخرة، والتجرؤ عليها ضلال باتفاق الأمة كما سبق.

والقسم الثالث والرابع وهي مسائل الخلاف الاجتهادية التي يجوز فيها النظر والاستدلال.

وهي المسائل التي قال فيها محمد بن سلمة: إنما على الحاكم الاجتهاد فيما يجوز فيه الرأي، فإذا اجتهد وأراد الصواب يجهد نفسه فقد أدى ما عليه أخطأ أو أصاب. [جامع بيان العلم وفضله (٢/ ٨٨٤).

فهذه المسائل ليس الحق فيها مع إنسان بعينه فكل يخطئ ويصيب وإنما المعصوم هو النبي صلى الله عليه وسلم.

قال مجاهد: ليس أحد بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا وهو يُؤخَذ من قوله ويُترك. جامع بيان العلم وفضله (٢/ ٩٢٦).

والواجب عند اختلاف العلماء في مثلها طلب الدليل من الكتاب والسنة والإجماع والقياس على الأصول على الصواب منها، وذلك لا يعدم، فإن استوت الأدلة وجب الميل مع الأشبه بما بالكتاب والسنة، فإذا لم يبن ذلك وجب التوقف، ولم يجز القطع بأحد القولين إلا بيقين، لكون فاعل ذلك مخبر عن الله رب العالمين.

فلا يجوز الاحتجاج بخلاف العلماء فيها عند أحد من أهل العلم؛ لأن الحق واحد، قال الإمام مالك: ما الحق إلا واحد، قولان مختلفان لا يكونان صوابًا جميعًا، ما الحق والصواب إلا واحد.

قال أبو عمر ابن عبد البر: الاختلاف ليس بحُجة عند أحد علمته من فقهاء الأمة إلا

من لا بصر له ولا معرفة عنده، ولا حجة في قوله. جامع بيان العلم وفضله (٢/ ٩٢٢).

فلا تنزل أقوال أهل العلم منزلة الأدلة الشرعية ويختار منها بالتشهي كما يفعل من لا خلاق له.

قال الإمام النووي في آداب الفتوى والمفتي والمستفتي (ص: ٧٦): لو جاز اتباع أي مذهب شاء لأفضى إلى أن يلتقط رخص المذاهب متبعًا هواه ويتخير بين التحليل والتحريم والوجوب والجواز وذلك يؤدي إلى انحلال ربقة التكليف.

وقد أمرنا الله عز وجل عند وقوع الخلاف أن نرده إلى الكتاب والسنة قال تعالي: « يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنكُمْ ۖ فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ۚ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا » (النساء: ٥٩). وقال: « وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِّنَ الْأَمْنِ أَوِ الْخَوْفِ أَذَاعُوا بِهِ ۖ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَىٰ أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنبِطُونَهُ مِنْهُمْ ۗ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لَاتَّبَعْتُمُ الشَّيْطَانَ إِلَّا قَلِيلًا » (النساء: ٨٣).

لكن هنا مقامان ينبغي الوقوف عندهما:

المقام الأول: أنه لا يجوز النظر في الخلاف لمن ليس متأهلاً من طلاب العلم الصغار أو العوام الطغام. فالإقدام على ذلك تجرؤ على الله، وقول عليه بغير علم. قال ابن قيم الجوزية في أعلام الموقعين (١ /٣٨): «وقد حرم الله سبحانه القول عليه بغير علم في الفتيا والقضاء وجعله من أعظم المحرمات بل جعله في المرتبة العليا منها، فقال تعالى: « قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالْإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَن تُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَأَن تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ » (الأعراف: ٣٣).

فرتّب المحرمات أربع مراتب:

وبدأ بأسهلها، وهو الفواحش.

ثم ثنى بما هو أشد تحريمًا منه وهو الإثم والظلم.

ثم ثلّث بما هو أعظم تحريمًا منهما وهو الشرك به سبحانه.

ثم ربّع بما هو أشد تحريمًا من ذلك كله وهو القول عليه بلا علم، وهذا يعم القول عليه سبحانه بلا علم في أسمائه وصفاته وأفعاله وفي دينه وشرعه».

وعن أبي القاسم عبيد الله بن عمر بن أحمد قال: إن من حق البحث والنظر الإضراب عن الكلام في فروع لم تحكم أصولها والتماس ثمرة لم تغرس شجرها وطلب نتيجة لم تعرف مقدماتها. جامع بيان العلم وفضله (١/ ٧٨٥).

هذا فضلاً عن التعرض للفتيا والقضاء للجهال وأنصاف العلماء وطلاب العلم الذين لم يتأهلوا لذلك فضلاً عن أهل الأهواء الذين يتشهون بآرائهم ويخالفون الحق وهم يعلمون لأدنى شبهة تعرض لهم، وربما لمجرد حب الدنيا والتصدر وطلب الرياسة وابتغاء الشهرة، فرحم الله ربيعة بن أبي عبد الرحمن شيخ الإمام مالك عندما قال: بعض من يفتي أحق بالسجن من السراق، فعن عبد الله بن وهب، قال: حدثني مالك، قال: أخبرني رجل أنه دخل على ربيعة بن أبي عبد الرحمن فوجده يبكي، فقال له: ما يبكيك؟ وارتاع لبكائه فقال له: أمصيبة دخلت عليك؟

فقال: لا، ولكن استُفتي من لا علم له، وظهر في الإسلام أمر عظيم.

قال ربيعة: ولَبعض مَن يفتي ها هنا أحق بالسجن من السُراق. جامع بيان العلم وفضله (٢/ ١٢٢٥).

أما المقام الثاني: فلماذا سقت كل هذا الكلام؟

والإجابة أنا لا أعني به التحذير من رجل بعينه، وإنما التحذير من هذا المنهاج الوخيم الذي يؤدي إلى الضلالة.

وإن كان المقال إنما سيق بسبب أحدهم ممن حاز على كثير من الألقاب العلمية وأفسحت له مساحات واسعة في الإعلام،

وهو مع ذلك لا يفتأ أن يفاجئ كثيرًا من متابعيه بأقوال شاذة حينًا، وأقوال تخالف الأمة كلها حينًا، وخيانة لأمانة النقل حينًا. وسأضرب لذلك أمثلة فمن هذه الأمثلة:

١- قوله بصحة إيمان من نطق بإحدى الشهادتين وهي: لا إله إلا الله وإن كفر بالشهادة الثانية: محمد رسول الله، وغرضه من هذا معروف، ثم كذب على إمامين من أئمة المسلمين فنسب ذلك لابن حجر الهيتمي، وابن حجر الهيتمي يقول في كتابه: الزواجر عن اقتراف الكبائر (٥٢/١): «لا يحصل الإسلام من كافر أصلي أو مرتد إلا بنطقه بالشهادتين وإن كان مقرًا بإحداهما».

ونسب لابن تيمية أنه كان يقول: كل من آمن بالله من الأديان السماوية فهو مسلم بالإطلاق العام.

وهذا هو قول ابن تيمية الذي بتره وحرّفه، في مجموع الفتاوى، قال (٩٤/٣): «وقد تنازع الناس فيمن تقدم من أمة موسى وعيسى هل هم مسلمون أم لا؟

وهو نزاع لفظي، فإن الإسلام الخاص الذي بعث الله به محمدًا صلى الله عليه وسلم المتضمن لشريعة القرآن: ليس عليه إلا أمة محمد صلى الله عليه وسلم، والإسلام اليوم عند الإطلاق يتناول هذا، وأما الإسلام العام المتناول لكل شريعة بعث الله بها نبيًا فإنه يتناول إسلام كل أمة متبعة لنبي من الأنبياء».

فالسؤال عمن آمن بالأنبياء السابقين ممن تقدم على رسالة النبي صلى الله عليه وسلم هل يسمى مسلمًا؟

فبتر الكلام عن سياقه ليصح له التلبيس على القراء. [ينظر الحوار في جريدة الوطن يوم: الاثنين ٢٤ / ٢ / ٢٠١٤م ــــ ٢٤/ ٤ / ١٤٣٥هـ.

وابن تيمية يقول في مجموع الفتاوى (٥٢٤/٢٨): «ومعلوم بالاضطرار من دين المسلمين وباتفاق جميع المسلمين أن من سوّغ اتّباع غير دين الإسلام أو اتّباع شريعة غير شريعة محمد صلى الله عليه وسلم فهو كافر، وهو ككُفر من آمن ببعض الكتاب وكفر ببعض».

٢ - ادعاؤه أن أفعال النبي صلى الله عليه وسلم ليست دينًا ولا حجة شرعية، وهو قول شاذ تفرد به يصادم الوحيين وإجماع المسلمين.

٣ - ادعاؤه أن حجاب المرأة المسلمة ليس فرضًا.

٤ - دعوته إلى المساواة بين المرأة والرجل في الميراث.

٥ - ادعاؤه أن الراقصة إذا ماتت في أثناء عملها فهي شهيدة.

٦ - ادعاؤه جواز العمل في حانات الخمر.

٧ - دعوته للبحث عن خيرات شرعية لإشباع الرغبة الجنسية للشباب قبل الزواج، وقوله بأن من يعاشر خادمته لا يعتبر زانيًا ولا تثبت بحقه جريمة الزنا؛ لأنه يسقط في شبهة الإجارة، باعتبار الخادمة في القرن الحادي والعشرين وعصر الدولة المدنية ومنظومة القانون أجيرة أو أمة يحق للرجل معاشرتها، وقوله بجواز نكاح الزوجة في الدبر.

٨ - القول بصحة زواج المتعة.

٩ - القول بعدم وقوع الطلاق الشفوي.

١٠- ادعاؤه جواز تأخير صلاة الصبح إلى أن يصحو العامل لعمله ضحى أو في أي وقت تعمدًا لتأخير النوم.

فهذه عشرة شواذ كاملة وغيرها كثير من أمثالها عند هذا الرجل وممن يسير على هذا المنهاج الوخيم من تتبع الرخص والأقوال الشاذة ونوادر المذاهب والتنقيب عن الشبهات أردت بذكرها التحذير من هذا المنهج وممن يسير عليه فإنه يؤدي إلى فساد عريض.

هذا والله أعلم، وإلى لقاء قريب إن شاء الله تعالى.

احذروا الغيبة والنميمة

إعداد الشيخ/ صلاح نجيب الدق

معنى الغيبة:

الغيبةُ: هيَ ذكْرُ مَساوئ الإنْسَان في غيْبَته، وهـي فيه، وإنْ لَمْ تكُنْ فيه فهيَ بُهْتَانٌ وإنْ واجَهَهُ بهَا فهُو شتْمٌ. (التعريفات، للجرجاني ص١٦٣).

التحذير من الغيبة وصية رب العالمين:

قَالَ الله تعَالى: (يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱجْتَنِبُوا۟ كَثِيرًا مِّنَ ٱلظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ ٱلظَّنِّ إِثْمٌ ۖ وَلَا تَجَسَّسُوا۟ وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا ۚ أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ) (الحجرات: ١٢).

قالَ الإمَامُ عَبْدُ اللهِ بن عباس، رَضيَ الله عنْهُما: حَرَّمَ الله عَلى المُؤْمنِ أنْ يغْتَابَ المُؤْمنَ بشَيْءٍ، كَمَا حَرَّمَ المَيْتَةَ. (تفسير الطبري ج٢١- ص٣٨١)

نبينا صلى الله عليه وسلم يحذرنا من الغيبة:

(١) عَنْ أبي هُرَيْرَةَ، رَضيَ الله عَنْهُ، أنَّ رَسُولَ الله، صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: أتَدْرُونَ مَا الغيبَةُ؟ قَالُوا: الله ورَسُولُهُ أعْلَمُ. قَالَ: ذكْرُكَ أخَاكَ بمَا يكْرَهُ. قيلَ: أفَرَأيْتَ إنْ كَانَ في أخي مَا أقُولُ؟ قَالَ: إنْ كَانَ فيه مَا تَقُولُ فَقَدْ اغْتَبْتَهُ، وإنْ لَمْ يكُنْ فيه فَقَدْ بَهَتَّهُ. (مسلم- حديث ٥٢٨٩).

(٢) عَنْ أبي هُرَيْرَةَ رَضيَ الله عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله صلى الله عليه وسلم: كُلُّ المُسْلمِ عَلَى المُسْلمِ: حَرَامٌ دَمُهُ ومَالُهُ وعِرْضُهُ. (مسلم- حديث: ٢٥٦٤).

(٣) عَنْ أنَسِ بْنِ مَالكٍ، رَضيَ الله عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله صلى الله عليه وسلم:

لَمّا عُرِجَ بي مررتُ بقومٍ لهم أظفارٌ من نحاسٍ يخمشون وجوههم وصدورهم فقلتُ: من هؤلاء يا جبريل؟ قال: هؤلاء الذين يأكلون لحوم الناس ويقعون في أعراضهم. (صحيح أبي داود- للألباني- حديث ٤٧٧٨).

(٤) عن سعيد بن زيد، رضي الله عنه، عن النبي، صلى الله عليه وسلم، قال: إن من أربى الربا الاستطالة في عرض المسلم بغير حق. (صحيح أبي داود- للألباني- حديث ٤٠٨١).

أسباب الغيبة:

نستطيع أن نوجز الأسباب التي تجعل المسلم يقع في الغيبة في الأمور التالية:

(١) شفاء الشخص المغتاب غيظه بذكر عيوب الذين يغتابهم.

(٢) مجاملة الأصدقاء ومشاركتهم فيما يتحدثون فيه من الغيبة.

(٣) سوء ظن المغتاب في غيره من الناس يؤدي إلى الغيبة.

(٤) رغبة المغتاب في تبرئة نفسه من شيء تجعله يغتاب الآخرين.

(٥) رغبة الإنسان في تزكية نفسه تجعله يذكر عيوب الآخرين.

(٦) حسد المغتاب لشخص يمدحه الناس ويكرمونه يجعله يغتابه.

(٧) اللعب وقضاء الوقت بالضحك، فيذكر عيوب غيره بما يضحك الناس.

(٨) السخرية والاستهزاء بالآخرين. (الإحياء- للغزالي- ج٣- ص:٢٢٩)

التحذير من اغتياب العلماء:

إن اغتياب علماء أهل السُّنَّة أشد من اغتياب غيرهم، لأن في ذلك تنفير للناس من دعوتهم، ورفضهم لنصيحتهم، وعدم قبول فتاواهم في الأمور الشرعية.

قال الإمام ابن عساكر (رحمه الله): إن لحوم العلماء مسمومة، وعادة الله في هتك منتقصهم معلومة، ومن أطلق لسانه في العلماء بالثلب (الانتقاص) بلاه الله قبل موته بموت القلب (فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ) (النور: ٦٣). (الزواجر- للهيتمي ج١- ص ٢٣٥).

الأمور التي تجوز فيها الغيبة:

قال الإمام النووي رحمه الله: الغيبة تباح لغرض صحيح شرعي، لا يمكن الوصول إليه إلا بها، وهو ستة أسباب:

الأول: التظلم، فيجوز للمظلوم أن يتظلم إلى السلطان والقاضي وغيرهما ممن له ولاية، أو قدرة على إنصافه من ظالمه، فيقول: ظلمني فلان بكذا.

الثاني: الاستعانة على تغيير المنكر، ورد العاصي إلى الصواب، فيقول لمن يرجو قدرته على إزالة المنكر: فلان يعمل كذا، فازجره عنه ونحو ذلك ويكون مقصوده التوصل إلى إزالة المنكر، فإن لم يقصد ذلك كان حرامًا.

الثالث: الاستفتاء، فيقول للمفتي: ظلمني أبي، أو أخي، أو زوجي، أو فلان بكذا، فهل له ذلك؟

الرابع: تحذير المسلمين من الشر ونصيحتهم، وذلك من وجوه: منها:

جرح المجروحين من الرواة والشهود وذلك جائز بإجماع المسلمين. ومنها: المشاورة في مصاهرة إنسان أو مشاركته، أو معاملته، أو غير ذلك، ويجب على المشاور أن لا يخفي حاله، بل يذكر المساوئ التي فيه بنية النصيحة.

الخامس: أن يكون مجاهرًا بفسقه أو بدعته، كالمجاهر بشرب الخمر.

السادس: التعريف، فإذا كان الإنسان معروفًا بلقب، كالأعمش، والأعرج، والأصم، والأعمى، والأحول، وغيرهم جاز تعريفهم بذلك. (رياض الصالحين- للنووي- ص ٤٥٠، ٤٥١).

وجوب رد غيبة المسلم:

عن كعب بن مالك رضي الله عنه (في قصة توبته) قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم، وهو جالس في القوم بتبوك: ما فعل كعب؟ فقال رجل من بني سلمة: يا رسول الله، حبسه بُرداه، ونظره في عطفه.(منعه من الخروج إعجابه بنفسه وثيابه) فقال معاذ بن جبل: بئس ما قلت، والله يا رسول الله ما علمنا عليه إلا خيرًا، فسكت رسول الله، صلى الله عليه وسلم. (البخاري- حديث ٤٤١٨/مسلم-

حديث: ٢٧٦٩).

وعَنْ أبي الدَّرْداء، رَضِيَ الله عَنْه، عن النَّبيِّ صلى الله عليه وسلم قال: مَنْ رَدَّ عَنْ عِرْض أخيه رَدَّ الله عَنْ وَجْهه النَّار يَوْم القيامة. (صحيح الترمذي- للألباني- حديث ١٥٧٥).

التوبة من الغيبة:

قال الإمَامُ النووي رَحمَهُ الله: "كُلُّ مَن ارتكب معصيةً لزمه المبادرة إلى التوبة منها، والتوبةُ من حقوق الله تعالى يُشترط فيها ثلاثة أشياء: أن يُقلع عن المعصية في الحال، وأن يندمَ على فعلها، وأن يعزمَ ألا يعود إليها. والتوبةُ من حقوق الآدميين يُشترط فيها هذه الثلاثة، ورابع: وهو ردُّ الظلامة إلى صاحبها أو طلب عفوه عنها والإبراء منها، فيجبُ على المغتاب التوبة بهذه الأمور الأربعة، لأن الغيبة حقّ آدمي، ولا بدّ من استحلاله مَن اغتابه". (الأذكار- للنووي- ص٤٢٩).

روى الشيخان عَنْ أبي هُرَيْرَة رَضيَ الله عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله صلى الله عليه وسلم: مَنْ كَانَتْ لَهُ مَظْلَمَةٌ لأَخيه مِنْ عِرْضه أَوْ شَيْءٍ فَلْيَتَحَلَّلْهُ مِنْهُ اليَوْمَ قَبْلَ أَنْ لا يَكُونَ دِينَارٌ وَلا دِرْهَمٌ إِنْ كَانَ لَهُ عَمَلٌ صَالِحٌ أُخِذَ مِنْهُ بِقَدْرِ مَظْلَمَته وَإِنْ لَمْ تَكُنْ لَهُ حَسَنَاتٌ أُخِذَ مِنْ سَيِّئَاتِ صَاحِبِهِ فَحُمِلَ عَلَيْهِ. (البخاري- حديث ٢٤٤٩/مسلم- حديث٢٥٨١).

سُئل عطاء بن أبي رباح (رحمَهُ الله) عن التوبة من الغيبة؟ فقال: أن تمشي إلى صاحبك فتقول له: أنا كذبتُ فيما قلتُ عنك، وظلمتك وأسأت، فإن شئت أخذت بحقك، وإن شئت عفوت. (ذم الغيبة والنميمة- لابن أبي الدنيا- ص ٤٦).

فإذا ترتب على الاستحلال مفسدةٌ، فيكفيه الاستغفار والدعاء للمغتاب.

قال الحسنُ البصريُّ (رحمَهُ الله): يكفيه الاستغفار دون الاستحلال.

قال مجاهد (رحمَهُ الله): كفارة أكلك لحم أخيك: أن تثني عليه وتدعو له بخير.

(الإحياء- للغزالي- ج٣- ص: ٢٤٠).

النميمة:

معنى النميمة: هيَ: نَقْلُ كلام النَّاس بَعْضهمْ إلى بَعْض على وَجْه الإفساد بَيْنَهُم. والنَّمامُ: هُو الذي يَنقل الحديث بين النَّاس للإفساد بَيْنهم. (الكبائر- للذهبي- ص١٧٩).

حقيقة النميمة:

حقيقةُ النَّميمَة: إفْشَاءُ السِّرِّ وَهَتْكُ السِّتْر عمَّا يُكْرَهُ كَشْفُهُ، بَلْ كُلُّ مَا رَآهُ الإنْسَانُ مِنْ أَحْوَال النَّاس مما يُكْرَهُ فَيَنْبَغي أَنْ يَسْكُتَ عَنْهُ، إلا مَا في حكايته فائدة لمسلم أَوْ دَفْعُ لمَعْصيَة، كَمَا إذَا رَأَى مَنْ يَتَنَاوَلُ مَالَ غَيْره، فَعَلَيْه أَنْ يَشْهَدَ به مُرَاعَاةً لحَقِّ المَشْهُود لَهُ. (الإحياء- للغزالي ج٣- ص:٢٤٣)

التحذير من النميمة وصية رب العالمين:

قال الله تَعالى: (وَلَا تُطِعْ كُلَّ حَلَّافٍ مَّهِينٍ ۝ هَمَّازٍ مَّشَّآءِۭ بِنَمِيمٍ) (القلم ١٠: ١١).

قال الإمَامُ الذهبي رَحمَهُ الله: النَّميمَةُ حرامٌ بإجْمَاع المسلمين، وقد تظاهرت على تَحْريمها الدَّلائل الشَّرْعيَّة من الكتاب والسُّنة. (الكبائر- للذهبي- ص١٧٩).

نبينا صلى الله عليه وسلم يحذرنا من النميمة:

عَن ابْن عَبَّاس رَضيَ الله عَنْهُمَا، قَالَ: مَرَّ النَّبيُّ صلى الله عليه وسلم بقَبْرَيْن، فَقَالَ: إنَّهُمَا ليُعَذَّبَان، وَمَا يُعَذَّبَان في كَبير، أَمَّا أَحَدُهُمَا فَكَانَ لا يَسْتَتِرُ منَ البَوْل، وَأَمَّا الآخَرُ فَكَانَ يَمْشي بالنَّميمَة. (البخاري- حديث ٢١٨، ومسلم- حديث ٢٩٢).

وعَنْ حُذَيْفَة بن اليمان رَضيَ الله عَنْهُ قَال: سَمعْتُ رَسُولَ الله صلى الله عليه وسلم يَقُولُ: لا يَدْخُلُ الجَنَّةَ نَمَّامٌ. (البخاري- حديث ٦٠٥٦، ومسلم- حديث ١٠٥).

أقوال سلفنا الصالح في ذم النميمة:

(١) دَخَلَ رَجُلٌ عَلَى عُمَرَ بْن عَبْد العَزيز رَحمَهُ الله، فَذَكَرَ لَهُ عَنْ رَجُل شَيْئاً، فَقَالَ عُمَرُ بْنُ عَبْد العَزيز: إنْ شئْتَ نَظَرْنَا في أَمْرِكَ، فَإنْ كَذَبْتَ فَأَنْتَ منْ أَهْل هَذه الآيَة: (إِن جَآءَكُمْ فَاسِقُۢ بِنَبَإٖ فَتَبَيَّنُوٓاْ) (الحجرات: ٦) وَإنْ صَدَقْتَ فَمنْ أَهْل هَذه الآيَة (مَشَّآءِۭ بِنَمِيمٖ)

(القلم: ١١) وإنْ شئْت عفوْنا عنْك. فقال: العفْوَ يا أمير المؤْمنين، لا أعودُ إليه أبدًا. (الإحياء- للغزالي- ج٣- ص٢٤٤).

(٢) عاتبَ سُليمانُ بْنُ عبْد الملك (رحمهُ الله) منْ نمَّ عليْه بحضْرة الزُّهْريّ، فأنكر الرَّجلُ فقال لهُ: منْ أخْبرني صادقٌ. فقال الزُّهْريُّ: النَّمامُ لا يكونُ صادقًا. فقال سُليْمانُ صدقْت، اذْهبْ أيُّها الرَّجُل بسلام. (الزواجر- للهيتمي- ج٢- ص٤٧).

(٣) قال الإمامُ الحسنُ البصْريُّ رحمهُ الله: منْ نمَّ إليْك، نم عليْك.

قال الإمام الغزالي رحمهُ الله- تعليقًا على قول الحسن-: هذا إشارةٌ إلى أنَّ النَّمَّام ينْبغي أنْ يُبْغض ولا يُوثق بقوْله ولا بصداقته، وكيْف لا وهُو لا ينْفك عن العُذْر والخيانة والإفْساد بيْن النَّاس، وهُو ممَّنْ يسْعى في قطع ما أمر اللهُ به أنْ يُوصل ويُفْسدُون في الأرْض. وقال تعالى: (إِنَّمَا ٱلسَّبِيلُ عَلَى ٱلَّذِينَ يَظْلِمُونَ ٱلنَّاسَ وَيَبْغُونَ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ) (الشورى: ٤٢) والنَّمامُ منْهُم. (الإحياء للغزالي- ج٣- ص٢٤٤).

(٤) جاء رجُلٌ إلى عليّ بن الحُسيْن، رضيَ الله عنْهُما، فنمَّ لهُ عنْ شخْص، فقال: اذهبْ بنا إليْه، فذهب معهُ، وهُو يرى أنَّهُ ينْتصرُ لنفْسه، فلمَّا وصل إليْه قال: يا أخي: إنْ كان ما قُلْت في حقًّا يغْفرُ الله لي، وإنْ كان ما قُلت في باطلاً يغْفرُ الله لك. (الكبائر- للذهبي- ص١٨٢، ١٨٣).

(٥) زار رجُلٌ أحد الحكماء، فنمَّ هذا الرَّجُلُ للحكيم عنْ صديقه. فقال لهُ الحكيمُ: يا أخي أبطأت في الزيارة، وجئْتني بثلاث جنايات: بغَّضْت إليَّ أخي، وشغلْت قلْبي الفارغ بسببه، واتَّهمْت نفْسك الأمينة. (الإحياء- ج٣- ص٢٤٤).

أسباب النميمة:

(١) إرادةُ السُّوء للإنسان المحْكيّ عنْهُ.

(٢) إظْهارُ الحبّ للإنسان المحْكيّ لهُ.

(٣) التَّفرُّجُ بالحديث والخوْض في الفضُول والباطل. (الإحياء- ج٣- ص:٢٤٤)

كيف نتعامل مع النمام؟

(١) لا نصدِّق النَّمام لأنه مردود الخبر.

(٢) ننهاه عن النميمة، وننصحه بالحكمة والموعظة الحسنة.

(٣) نبغض عمل الشخص النَّمام في الله تعالى.

(٤) أن لا نظن السوء والشر في الشخص المنقول عنه النميمة.

(٥) أن لا تحملنا هذه النميمة على التجسس على الناس.

(٦) أن لا نرضى لأنفسنا ما ننهى عنه النمام . فيجب علينا أن نلتزم الصمت ولا نخبر أحداً بهذه النميمة. (الإحياء- للغزالي- ج٣- ص:٢٤٤)

الوسائل المعينة على ترك الغيبة والنميمة:

نستطيع أن نوجز الوسائل التي تساعد المسلم على ترْك الغيبة والنميمة والابتعاد عنهما في الأمور التالية:

(١) التقرب إلى الله بالأعمال الصالحة وتقديم رضا الله على رضا المخلوقين.

(٢) زيادة رصيد الإيمان وتقويته بالعلم النافع والعمل الصالح.

(٣) ينشغل المسلم بالبحث عن عيوبه، ويكف عن عيوب الآخرين وتتبعها.

(٤) اختيار الأصدقاء الصالحين الذين يقربون المسلم من الله سُبْحانهُ وتعالى ويبعدوه عن المعاصي.

(٥) تربية الفرد تربية إسلامية سليمة قائمة على الآداب والتعاليم الإسلامية.

(٦) استغلال وقت الفراغ، بما ينفع المسلم ويقوي إيمانه ويقربه إلى الله سُبْحانهُ

(٧) قناعة المسلم بما رزقه الله تعالى، وشكره على هذه النِّعم، وأن يعلم أن ما عند الله سُبْحانهُ خير وأبقى.

(٨) يضع المسلم نفسه مكان الشخص الذي اغْتيب، ليجد أنه لن يرضى بهذه الغيبة لنفسه.

(٩) كظم الغيظ والصبر على الغضب، كي لا يكون ذلك دافعاً للغيبة.

(١٠) الابتعاد عن كلِّ ما من شأنه أن يؤدي به إلى الغيبة. (موسوعة الأخلاق الإسلامية- ج٢- ص ٤١٩).

وآخرُ دعْوانا أن الحمْدُ لله ربِّ العالمين. وصلَّى الله وسلَّم على نبيِّنا مُحمَّد، وعلى آله، وأصْحابه.

أسباب النصر من خلال غزوة بدر

إعداد د/ سيد عبد العال

الحمد لله رب العالمين، وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله صلى الله عليه وسلم. أما بعد: فإن النصر من عند الله، وما عند الله لا ينال إلا بطاعته، وهذا ما قام به المسلمون في غزوة بدر الكبرى؛ فنصرهم الله تعالى مع قلة في العدد والعدة؛ مما حدا بنا أن نذكر في هذا العدد من هذه المجلة الغراء "أسباب النصر مستلة من غزوة بدر" لاحتياج المسلمين لها على مستوى الفرد والأمة لاسيما أبناؤنا، وإخواننا في القوات المسلحة؛ لنتأسى جميعا بالنبي صلى الله عليه وسلم والصحابة الكرام في الحرب والسلم...

ولقد ذكر الله تعالى أسباب النصر في آيات من سورة بدر (الأنفال) ومن ذلك قوله تعالى: " يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَٱثْبُتُواْ وَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٤٥﴾ وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَا تَنَٰزَعُواْ فَتَفْشَلُواْ وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَٱصْبِرُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿٤٦﴾ وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ خَرَجُواْ مِن دِيَٰرِهِم بَطَرًا وَرِئَآءَ ٱلنَّاسِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ " (الأنفال: ٤٥-٤٧).

فهذه أهم عوامل النصر مع إعداد ما يستطاع من القوة كما أمر الله تعالى: الإيمان بالله -تعالى- والثبات، وذكر الله، والطاعة لله والرسول صلى الله عليه وسلم، واطراح النزاع، والصبر، وعدم البطر والرياء، مع التوكل على الله تعالى، واليك هذه الأسباب بشيء من التفصيل والبيان.

السبب الأول: تحقيق الإيمان بالله تعالى: وهذا واضح من خلال النداء بوصف الإيمان " يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا.. " ومن خلال آيات أخرى علق فيها النصر على الإيمان كقَوْلِه: "وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ" (الروم: ٤٧).

وَقَوْله: "وَلَا تَهِنُواْ وَلَا تَحْزَنُواْ وَأَنتُمُ ٱلْأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ" (آل عمران: ١٣٩).

وقد قام أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم بما يحقق هذا الوصف، ولذلك نصرهم الله ببدر... ولقد وصفهم الله بالإيمان في سياق المنة عليهم متضمنا تعليم الأمة ما ينبغي أن يكون في مثل هذا الموقف؛ فقال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنتُمْ أَذِلَّةٌ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٢٣﴾ إِذْ تَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ أَلَن يَكْفِيَكُمْ أَن يُمِدَّكُمْ رَبُّكُم بِثَلَٰثَةِ ءَالَٰفٍ مِّنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ مُنزَلِينَ ﴾ (آل عمران: ٤٥-٤٧).

قال محمد رشيد رضا: وَقَدْ بَيَّنَّا غَيْرَ مَرَّةٍ كَوْنَ الْإِيمَانِ نَفْسِهِ مِنْ أَسْبَابِ النَّصْرِ، وَأَنَّهُ يَقْتَضِي الِاسْتِعْدَادَ وَأَخْذَ الْحَذَرِ، وَإِنَّمَا غَلَبَ الْمُسْلِمُونَ في هَذِهِ الْقُرُونِ الْأَخِيرَةِ وَفَتَحَ الْكُفَّارُ بِلَادَهُمُ الَّتِي فَتَحُوهَا هُمْ مِنْ قَبْلُ بِقُوَّةِ الْإِيمَانِ، وَمَا يَقْتَضِيهِ مِنَ الْأَعْمَالِ: لأَنَّهُمْ مَا عَادَوا يُقَاتِلُونَ لِإِعْلَاءِ كَلِمَةِ اللهِ، وَتَأْيِيدِ الْحَقِّ وَنَشْرِ الْإِسْلَامِ، وَلَا عَادُوا يَعُدُّونَ مَا اسْتَطَاعُوا مِنْ قُوَّةٍ كَمَا أَمَرَهُمُ الْقُرْآنُ.

تفسير المنار (٣٧٨/٥).

وتأمل قوله تعالى: "وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّن بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ".

حيث علق الوعد بالتمكين هنا بأربعة أمور:

(أ) تحقيق الإيمان.

(ب) عمل الصالحات: من القيام بشرائع الدين وليس ادعاءً فقط.

(ج) التزام نهج الصحابة. لقوله: "منكم" فالخطاب لهم وينسحب على من نهج نهجهم.

(د) انتفاء الشرك في العبادة: "يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا". عوامل النصر والتمكين (٢٢).

وقد وَعَدَهُمُ اللَّهُ -تعالى- هَذِهِ الْوُعُودَ فِي حَالِ قِلَّتِهِمْ وَضَعْفِهِمْ وَفَقْرِهِمْ، وَبُعْدِهِمْ عَنِ الْمُلْكِ وَالسُّلْطَانِ، وَأَنْجَزَ لَهُمْ ما وعدهم بِمَا قَضَاهُ وجعله أثرًا للاهتداء بالقرآن. تفسير المنار (٦/١)

السبب الثالث: الثبات عند لقاء العدو:

قال ابن كثير: هذا تعليم من الله - تعالى- لعباده المؤمنين آداب اللقاء، وطريق الشجاعة عند مواجهة الأعداء؛ فقال "إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُوا"... فأمر -تعالى- بالثبات عند قتال الأعداء والصبر على مبارزتهم؛ فلا يفروا ولا ينكلوا ولا يجبنوا... وقد كان للصحابة في باب الشجاعة، والائتمار بما أمرهم الله ورسوله به، وامتثال ما أرشدهم إليه ما لم يكن لأحد من الأمم قبلهم، ولا يكون لأحد بعدهم، فإنهم ببركة الرسول صلى الله عليه وسلم وطاعته فيما أمرهم، فتحوا القلوب والأقاليم شرقًا وغربًا في المدة اليسيرة، مع قلة عددهم بالنسبة إلى جيوش سائر الأقاليم... حتى علت كلمة الله، وظهر دينه على سائر الأديان، وامتدت الممالك الإسلامية في مشارق الأرض ومغاربها، في أقل من ثلاثين سنة، فرضي الله عنهم وأرضاهم أجمعين، وحشرنا في زمرتهم إنه كريم وهاب. تفسير ابن كثير (٣٨٥/٢).

فالثَّبَاتُ قُوَّةٌ مَعْنَوِيَّةٌ طَالَمَا كَانَتْ هِيَ السَّبَبُ الْأَخِيرُ لِلنَّصْرِ وَالْغَلَبِ بَيْنَ الْأَفْرَادِ أَوِ الْجُيُوشِ... وَكَذَلِكَ يُفِيدُ الثَّبَاتُ فِي كُلِّ أَعْمَالِ الْبَشَرِ فَهُوَ وَسِيلَةُ النَّجَاحِ فِي كُلِّ شَيْءٍ. تفسير المنار (٢٠/١٠).

السبب الرابع: الإكثار من ذكر الله:

ومن معانيه استحضار حقيقة المعركة، وأنها لإعلاء كلمة الله، لا للسيطرة ولا للجاه، ولا للمغانم، ولا للشهوة، أو النزوة وإنما كانت لله، وفي سبيل الله.

فقوله "وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا" أَيْ: وَأَكْثِرُوا مِنْ ذِكْرِ اللَّهِ فِي أَثْنَاءِ الْقِتَالِ وَتَضَاعِيفِهِ، اذْكُرُوهُ فِي قُلُوبِكُمْ بِذِكْرِ قُدْرَتِهِ، وَوَعْدِهِ بِنَصْرِ رُسُلِهِ وَالْمُؤْمِنِينَ، وَنَصْرِ كُلِّ مَنْ يَتَّبِعُ سُنَنَهُمْ بِنَصْرِ دِينِهِ، وَإِقَامَةِ سُنَنِهِ، وَبِذِكْرِ نَهْيِهِ لَكُمْ عَنِ الْيَأْسِ مَهْمَا اشْتَدَّ الْبَأْسُ، وَبِأَنَّ النَّصْرَ بِيَدِهِ وَمِنْ عِنْدِهِ، يَنْصُرُ مَنْ يَشَاءُ، فَمَنْ ذَكَرَ هَذَا، وَتَأَمَّلَ فِيهِ لَا تَهُولُهُ قُوَّةُ عَدُوِّهِ وَاسْتِعْدَادُهُ، لِإِيمَانِهِ بِأَنَّ اللَّهَ - تعالى- أَقْوَى مِنْهُ- وَاذْكُرُوهُ - أَيْضًا- بِأَلْسِنَتِكُمْ مُوَافِقَةً لِقُلُوبِكُمْ بِمِثْلِ التَّكْبِيرِ الَّذِي تَسْتَصْغِرُونَ بِمُلَاحَظَةِ مَعْنَاهُ...

وَمِنَ الذِّكْرِ الدُّعَاءُ وَالتَّضَرُّعُ إِلَيْهِ -عَزَّ وَجَلَّ- مَعَ الْيَقِينِ بِأَنْ لَا يُعْجِزَهُ شَيْءٌ.

وقوله "لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ" هَذَا الرَّجَاءُ مَنُوطٌ بِالْأَمْرَيْنِ كِلَيْهِمَا، أَيْ: إِنَّ الثَّبَاتَ وَذِكْرَ اللَّهِ - تَعَالَى- هُمَا السَّبَبَانِ الْمَعْنَوِيَّانِ لِلْفَلَاحِ وَالْفَوْزِ فِي الْقِتَالِ فِي الدُّنْيَا، ثُمَّ فِي نَيْلِ الثَّوَابِ فِي الْآخِرَةِ، أَمَّا الْأَوَّلُ فَظَاهِرٌ... وَأَمَّا الثَّانِي: فَأَمْثِلَتُهُ أَظْهَرُ وَأَكْثَرُ، وَمِنْ أَظْهَرِهَا مَا نَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ فِي سِيَاقِهِ، وَهَذِهِ السُّورَةُ بِجُمْلَتِهَا وَهُوَ غَزْوَةُ بَدْرٍ الْكُبْرَى... المنار (٢٠/١٠).

وَإِذَا كُنَّا مَأْمُورِينَ بِالذِّكْرِ عَلَى كُلِّ حَالٍ نَكُونُ عَلَيْهَا فِي الْحَرْبِ كَمَا يُعْطِيهِ السِّيَاقُ، فَأَجْدَرُ بِنَا أَنْ نُؤْمَرَ بِذَلِكَ فِي كُلِّ حَالٍ مِنْ أَحْوَالِ السِّلْمِ عَلَى أَنَّ الْمُؤْمِنَ فِي حَرْبٍ دَائِمَةٍ وَجِهَادٍ مُسْتَمِرٍّ، تَارَةً يُجَاهِدُ الْأَعْدَاءَ، وَتَارَةً يُجَاهِدُ الْأَهْوَاءَ... المنار (٣١٢/٥).

السبب الرابع: طاعة الله ورسوله:

لقوله "وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ" أي: أَطِيعُوا اللَّهَ فِي هَذِهِ الْأَوَامِرِ الْمُرْشِدَةِ إِلَى أَسْبَابِ الْفَلَاحِ فِي الْقِتَالِ وَفِي غَيْرِهَا، وَأَطِيعُوا رَسُولَهُ فِيمَا يَأْمُرُ بِهِ وَيَنْهَى عَنْهُ مِنْ شُئُونِ الْقِتَالِ وَغَيْرِهَا، مِنْ حَيْثُ إِنَّهُ هُوَ الْمُبَيِّنُ لِكَلَامِ اللَّهِ الَّذِي أُنْزِلَ إِلَيْهِ عَلَى مَا يُرِيدُهُ- تَعَالَى- مِنْهُ، وَالْمُنَفِّذُ لَهُ بِالْقَوْلِ وَالْعَمَلِ وَالْحُكْمِ، وَمِنْهُ وِلَايَةُ الْقِيَادَةِ الْعَامَّةِ فِي الْقِتَالِ، فَطَاعَةُ

القَائد العَامُ هيَ جِمَاعُ النِّظَام الَّذي هُوَ رُكْنٌ مِنْ أَرْكَانِ الظَّفَر، فكَيْفَ إذَا كَانَ القَائدُ العَامُّ رَسُولَ اللّه المُؤَيَّدَ منْ لَدُنْهُ بِالوَحْيِ وَالتَّوْفيق، وَالمُشَارِكَ لَكُمْ فِي الرَّأْيِ وَالتَّدْبِيرِ وَالاسْتِشَارَة فِي الأُمُور، كَمَا ثَبَتَ لَكُمْ فِي هَذِهِ الغَزْوَة. تفسير المنار (١٠/٢٢).

السبب الخامس: اتقاء النزاع.

"وَلاَ تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ"؛ هَذَا النَّهْيُ مُسَاقٌ لِلأَمْرِ بِالثَّبَات وَكَثْرَة الذِّكْر، وَبِطَاعَة اللّه وَالرَّسُول، وَمُتَمِّمٌ لِلْغَرَض مِنْهُ، فَإِنَّ الاخْتِلاَفَ وَالتَّنَازُعَ مَدْعَاةُ الفَشَل، وَهُوَ الخَيْبَةُ وَالنُّكُولُ عَنْ إِمْضَاءِ الأَمْر...وَأَمَّا قَوْلُهُ تَعَالَى: "وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ" فَمَعْنَاهُ تَذْهَبُ قُوَّتُكُمْ، وَتَرْتَخِي أَعْصَابُ شِدَّتِكُمْ فَيَظْهَرُ عَدُوُّكُمْ عَلَيْكُمْ. المنار (١٠/٢٣).

السبب السادس: الصبر عند لقاء العدو:

قال "وَاصْبِرُوا إِنَّ اللّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ" أَيْ: وَاصْبِرُوا عَلَى مَا تَكْرَهُونَ مِنْ شِدَّة، وَمَا تُلاَقُونَ مِنْ بَأْسِ العَدُوِّ وَاسْتِعْدَادِه وَكَثْرَة عَدَده وَغَيْرِ ذَلِكَ إِنَّ اللّه مَعَ الصَّابِرِينَ بِالمَعُونَة وَالتَّأْيِيد، وَرَبْط الجَأْشِ وَالتَّثْبِيت، وَمَنْ كَانَ اللّهُ مَعَهُ فَلاَ يَغْلِبُهُ شَيْءٌ، فَاللّهُ غَالِبٌ عَلَى أَمْرِه، وَهُوَ القَوِيُّ العَزِيزُ الَّذِي لاَ يُغَالَبُ.

السبب السابع: اتقاء البطر والرياء:

وبهذا أدب الله عباده المؤمنين: فَبَعْدَ أَنْ أَمَرَ اللّهُ - تَعَالَى- عِبَادَهُ المُؤْمِنِينَ بِمَا أَمَرَ بِهِ مِنْ جَلاَئِلِ الصِّفَات وَأَحَاسِنِ الأَعْمَال، الَّتِي جَرَتْ سُنَّتُهُ بِأَنْ تَكُونَ سَبَبَ الظَّفَر فِي القِتَال، وَنَهَاهُمْ عَنِ التَّنَازُع- نَهَاهُمْ عَمَّا كَانَ عَلَيْهِ خُصُومُهُمْ مِنْ مُشْرِكِي مَكَّةَ حِينَ خَرَجُوا لِحِمَايَة العِير مِنَ الصِّفَات الرَّدِيئَة، وَذَكَرَ لَهُمْ بَعْضَ أَحْوَالِهِمْ القَبِيحَة فَقَال: "وَلاَ تَكُونُواْ كَالَّذِينَ خَرَجُواْ من دِيَارِهِم بَطَراً وَرِئَاءَ النَّاسِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللّهِ وَاللّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ". وقوله "بطرا" أي: دفعا للحق، "وَرِئَاءَ النَّاسِ" وهو المفاخرة والتكبر عليهم، كما قال أبو جهل، وقد سبق ذكره.

السبب الثامن: التوكل على الله:

كما قال في سياق الآيات السابقة "وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللّهِ فَإِنَّ اللّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ".

أَيْ: يَكِلْ إِلَيْه أَمْرَهُ مُؤْمِنًا إِيمَانَ إِذْعَانٍ وَاطْمِئْنَانٍ بِأَنَّهُ هُوَ حَسْبُهُ وَكَافِيه وَنَاصِرُه وَمُعِينُه، وَأَنَّهُ قَادِرٌ لاَ يُعْجِزُهُ شَيْءٌ، عَزِيزٌ لاَ يَغْلِبُه، وَلاَ يَمْتَنِعُ عَلَيْه شَيْءٌ أَرَادَهُ فَإِنَّ اللّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ أَيْ: فَهُوَ - تَعَالَى- بِمُقْتَضَى عِزَّتِه وَحِكْمَتِه عِنْدَ إِيمَانِهِمْ بِه، وَتَوَكُّلِهِمْ عَلَيْه: يَكْفِيهِمْ مَا أَهَمَّهُمْ، وَيَنْصُرُهُمْ عَلَى أَعْدَائِهِمْ، وَإِنْ كَثُرَ عَدَدُهُمْ، وَعَظُمَ اسْتِعْدَادُهُمْ؛ لأَنَّهُ عَزِيزٌ غَالِبٌ عَلَى أَمْرِه، حَكِيمٌ يَضَعُ كُلَّ أَمْرٍ فِي مَوْضِعه عَلَى مَا جَرَى عَلَيْهِ النِّظَامُ وَالتَّقْدِيرُ فِي سُنَنِه، وَمِنْهُ نَصْرُ الحَقِّ عَلَى البَاطِل، بَلْ كَثِيرًا مَا تَدْخُلُ عِنَايَتُهُ بِالمُتَوَكِّلِينَ عَلَيْه فِي بَابِ الآيَات، وَخَوَارِقِ العَادَات كَمَا حَصَلَ فِي غَزْوَة بَدْرٍ، وَآيَاتُ اللّه لاَ نِهَايَةَ لَهَا، وقد أَجْمَعَ المُحَقِّقُونَ على أَنَّ التَّوَكُّلَ لا يَقْتَضِي تَرْكَ الأَسْبَابِ مِنَ العَبْد، وَلاَ الخُرُوجَ عَنِ السُّنَنِ العَامَّة فِي أَفْعَالِ الرَّبِّ سبحانه. تفسير المنار (١٠/٢٩).

وَلاَ شَكَّ أَنَّ المُؤْمِنِينَ قد امْتَثَلُوا أَمْرَ اللّه- تَعَالَى- فِي كُلِّ مَا أَوْصَاهُمْ بِهِ بِقَدْرِ طَاقَتِهِمْ فَاجْتَمَعَ لَهُمْ الاسْتِعْدَادُ وَالاعْتِقَادُ، وَنَصَرُوا اللّهَ: فَنَصَرَهُمْ وَفَاءً بِوَعْدِه فِي قَوْلِه: "إِنْ تَنْصُرُوا اللّهَ يَنْصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ" فَالمُؤْمِنُ مَنْ يَشْهَدُ لَهُ بِإِيمَانِه القُرْآنُ وَإِيتَاؤُهُ مَا وَعَدَ اللّهُ المُؤْمِنِينَ، لاَ مَنْ يَدَّعِي الإِيمَانَ بِلِسَانِه وَأَخْلاَقُهُ وَأَعْمَالُهُ وَحِرْمَانُهُ مِمَّا وَعَدَ اللّهُ المُؤْمِنِينَ تُكَذِّبُ دَعْوَاهُ، وَغَزَوَاتُ الرَّسُول وَأَصْحَابِهِ شَارِحَةٌ لِذَلِكَ، وَنَاهِيكَ بِغَزْوَة أُحُد، فَإِنَّهُمْ لَمَّا خَالَفُوا مَا أُمِرُوا بِه نَزَلَ بِهِمْ مَا نَزَلَ، وَهَذَا أَكْبَرُ عِبْرَةٍ لِمَنْ بَعْدَهُمْ لَوْ كَانُوا يَعْتَبِرُونَ بِالقُرْآن، وَلَكِنَّهُمْ أَعْرَضُوا عَنْهُ وَنَبَذُوهُ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ وَاشْتَرَوْا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلاً فَبِئْسَ مَا اخْتَارُوا لأَنْفُسِهِمْ، وَلَوْ عَادُوا إِلَيْه وَاتَّحَدُوا فِيه وَاعْتَصَمُوا بِحَبْلِه لَفَازُوا بِالعِزِّ الدَّائِم وَالسَّعَادَة الكُبْرَى وَالسِّيَادَة العُلْيَا فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَة. تفسير المنار (٣/١٩٤).

فنسأل الله تعالى أن ينصر الإسلام والمسلمين وأن يهيئ لهذه الأمة أمر رشد يعز فيه أهل الطاعة ويهدى فيه أهل المعصية ويعلم فيه الجاهل ويذكر الناسي ويؤخذ على يد الظالم؛ إنه ولي ذلك ومولاه وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه.

والحمد لله رب العالمين.

دلائل النبوة من القرآن والسنة

إعداد معاوية محمد هيكل

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، أما بعد: فدلائل النبوة هي ما أكرم الله عز وجل به نبينا محمدًا صلى الله عليه وسلم من خوارق العادات التي يعجز عن فعلها سائر البشر، مما يدل على صدقه ونبوته. ونبينا محمد صلوات الله وسلامه عليه أكثر الرسل معجزة وأبهرهم آية، فله من المعجزات الحِسِّيَة ما لا يُحَدُّ ولا يُعَدُّ، وكان أعظم هذه المعجزات على الإطلاق القرآن الكريم، قال ابن تيمية رحمه الله: "وكان يأتيهم بالآيات الدالة على نبوته صلى الله عليه وسلم، ومعجزاته تزيد على ألف معجزة، مثل انشقاق القمر وغيره من الآيات". وقال البيهقي: "بلغت ألفًا". وقال ابن حجر: "وذكر النووي في مقدمة شرح مسلم أن معجزات النبي صلى الله عليه وسلم تزيد على ألف ومائتين".

وقال ابن القيم بعد أن عدَّدَ معجزات موسى وعيسى عليهما السلام: "وإذا كان هذا شأن معجزات هذين الرسولين، مع بُعد العهد وتشتُّت شمل أمَتَيْهما في الأرض، وانقطاع معجزاتهما، فما الظنُّ بنبوة محمد صلى الله عليه وسلم، ومعجزاته وآياته تزيد على الألف والعهد بها قريب، وناقلوها أصدقُ الخلق وأبرُهم، ونَقْلُها ثابت بالتواتر قرنًا بعد قرن".

أولا: القرآن الكريم أعظم الدلائل والآيات على نبوته صلى الله عليه وسلم

إن أعظم دلائل النبوة القرآنُ الكريم، كتاب الله الذي أعجز الأولين والآخرين.

يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم: "ما من الأنبياء من نبي، إلا قد أُعطي من الآيات، ما مثلُه آمن عليه البشر، وإنما كان الذي أُوتيتُ وحياً أَوحى الله إليَّ، فأرجو أن أكون أكثرهم تابعاً يوم القيامة". (البخاري (٤٩٨١)، ومسلم (١٥٢) واللفظ له).

قال ابن حجر في معنى قوله: "إنما كان الذي أوتيتُ وحياً": "أي أن معجزتي التي تحدَيتُ بها، الوحيُ الذي أُنزل عليّ، وهو القرآن".

ثم لفت- رحمه الله- النظر إلى أنه ليس المراد من الحديث حصرَ معجزاته صلى الله عليه وسلم في معجزة القرآن الكريم فقال: "بل المراد

أنه المعجزة العظمى التي اختص بها دون غيره صلى الله عليه وسلم".(فتح الباري: ٦٢٣/٨).

وقال ابن كثير في معنى الحديث: " معناه أن معجزة كل نبي انقرضت بموته، وهذا القرآن حجة باقية على الآباد، لا تنقضي عجائبه، ولا يخلق عن كثرة الرد، ولا يشبع منه العلماء، هو الفصل ليس بالهزل، من تركه من جبار قصمه الله، ومن ابتغى الهدى من غيره أضله الله".(تفسير القرآن العظيم: ٢/٦٧٨).

وقال ابن القيم في سياق حديثه عن معجزات الأنبياء: "وأعظمها معجزةً كتابٌ باقٍ غضٌ طريٌ لم يتغيَر، ولم يتبدَل منه شيء، بل كأنه منزَل الآن، وهو القرآن العظيم، وما أخبر به يقع كل وقتٍ على الوجه الذي أخبر به". (إغاثة اللهفان: (٢/٣٤٧))

هذه المعجزة العظيمة تحدى الله بها الأولين والآخرين، ودعاهم للإتيان بمثله حين زعموا أن القرآن من كلامه صلى الله عليه وسلم، فقال تعالى: « أَمْ يَقُولُونَ تَقَوَّلَهُ بَل لَّا يُؤْمِنُونَ ﴿٣٣﴾ فَلْيَأْتُوا بِحَدِيثٍ مِّثْلِهِ إِن كَانُوا صَادِقِينَ » (الطور: ٣٣-٣٤).

فلما أعجز المشركين أن يأتوا بمثله، تحداهم القرآن أن يأتوا بعشر سور مثله مفتريات من عندهم، قال تعالى: « أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوَرٍ مِّثْلِهِ مُفْتَرَيَاتٍ وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ » (هود: ١٣).

قال ابن كثير: "بين تعالى إعجاز القرآن، وأنه لا يستطيع أحدٌ أن يأتي بمثله، ولا بعشر سور من مثله، ولا بسورة من مثله؛ لأن كلام الرب تعالى لا يشبه كلام المخلوقين، كما أن صفاته لا تشبه صفات المحدثات، وذاته لا يشبهها شيء ".(تفسير القرآن العظيم: (٢/٤٥٥)).

فلما عجزوا عن الإتيان بعشر سور تحداهم القرآن أن يأتوا بسورة واحدة، قال تعالى: « وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُم مِّن دُونِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ » (البقرة: ٢٣).

قال الطبري: " ومن حجة محمدٍ صلى الله عليه وسلم على صدقه، وبرهانه على حقيقة نبوته، وأن ما جاء به من عندي (أي من عند الله): عجز جميعكم وجميع من تستعينون به من أعوانكم وأنصاركم، عن أن تأتوا بسورة من مثله. وإذا عجزتم عن ذلك وأنتم أهل البراعة في الفصاحة والبلاغة فقد علمتم أن غيركم عما عجزتم عنه من ذلك أعجز ".(جامع البيان: (١/٣٧٢)).

ويبلغ التحدي القرآني غايته حين يخبر القرآن أن عجز المشركين عن محاكاة القرآن والإتيان بمثله عجز دائم لا انقطاع له، فيقول: « فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا وَلَن تَفْعَلُوا » (البقرة: ٢٤).

قال القرطبي: " قوله: «ولن تفعلوا» إثارةٌ لهممهم، وتحريكٌ لنفوسهم؛ ليكون عجزهم بعد ذلك أبدع، وهذا من الغيوب التي أخبر بها القرآن قبل وقوعها ". (الجامع لأحكام القرآن: (١/٢٦٧)).

وحين أراد مسيلمة معارضة القرآن فضحه الله وأخزاه، فكان قوله محلاً لسخرية العقلاء وإعراض الفصحاء والبلغاء، ومسيلمة الكذاب أتفه من أن نلوث المقال بسفاهاته وضلالاته.

وعندما أراد الأديب ابن المقفع معارضة القرآن كلَّ وعجز، وقال: أشهد أن هذا لا يُعارَض، وما هو من كلام البشر. ومثله صنع يحيى الغزال بليغ الأندلس وفصيحها.

وصدق الله العظيم: « قُل لَّئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰ أَن يَأْتُوا بِمِثْلِ هَٰذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا » (الإسراء: ٨٨).

إعجاز تام في كل باب:

لقد أعجز القرآن الخلق في أسلوبه ونظمه، وفي علومه وحكمه، وفي تأثير هدايته وفي كشفه الحجب عن الغيوب الماضية والمستقبلية، وفي كل باب من هذه الأبواب للإعجاز فصول، وفي كل فصل منها فروع ترجع إلى أصول، وقد تحدى العرب بإعجازه، ونقل العرب هذا التحدي إلى كل الأمم فظهر عجزها. إن دلائل النبوة لا تحصر في معجزة القرآن أو غيرها من المعجزات الحسية. بل هذه الشريعة كلها من أبرز دلائل النبوة

شريعة مباركة طيبة صالحة لكل زمان ومكان، ولقد تكلم العلماء في هذا الباب وصنفوا المصنفات من ذلك كتاب دلائل النبوة للبيهقي، قال فيه الحافظ ابن كثير: دلائل النبوة لأبي بكر البيهقي من عيون ما صنف في السيرة والشمائل. وقال تاج الدين السبكي: "أما كتاب دلائل النبوة "وكتاب شعب الإيمان" وكتاب "مناقب الشافعي" فأقسمُ ما لواحد منها نظير" (دلائل النبوة للبيهقي). وكذلك كتاب دلائل النبوة لأبي نعيم الأصبهاني. وغيرها من الكتب والمؤلفات والمصنفات التي تكلمت وأسهبت وأطالت في هذا الموضوع العظيم «وَيَزْدَادَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِيمَـٰنًا » (المدثر:٣١)، وليعلم من لم يكن مؤمناً علَ الإيمان إلى قلبه يكون هذا طريقه. وأما الجاحد المعاند الذي يريد أن يمنع نور الشمس عن الناس بيده فليخسأ وليعلم أن الله متم نوره ولو كره الكافرون والحمد لله ربّ العالمين.

ثانيا: من دلائل النبوة في القرآن الكريم

ومن دلائل نبوة نبينا صلى الله عليه وسلم ما جاء من إخباره عن أحداث وأمور غيبية ستقع في المستقبل، سواء في حياته أو بعد مماته، ووقعت كما أخبر بها. والقرآن الكريم والسيرة النبوية فيهما الكثير من هذه الدلائل والنبوّات، وهذا دليل على أن الله عز وجل قد أطلع نبيه صلى الله عليه وسلم على أمور من علم الغيب، الذي لا يُمكن الوصول إليها إلا بوحي من الله سبحانه. من ذلك:

١- إخبار القرآن الكريم عن غلبة الروم للفرس فقد أخبر القرآن الكريم عن غلبة الروم للفرس خلال بضع سنين كما جاء في سورة الروم، وكان ذلك في أول مبعثه صلى الله عليه وسلم حين كان في مكة، فكان هذا الإخبار من الآيات والدلائل على صدقه ونبوته، وأنه رسول الله حقاً، لوقوع الأمر كما أخبر الله تعالى به رسوله في كتابه العظيم، وقد فرح المسلمون بذلك، لأن الروم وهم نصارى أهل كتاب (الإنجيل)، أقرب إلى المسلمين من الفرس عباد الأوثان، قال الله تعالى: «الٓمٓ ﴿١﴾ غُلِبَتِ ٱلرُّومُ ﴿٢﴾ فِىٓ أَدْنَى ٱلْأَرْضِ وَهُم مِّنۢ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ ﴿٣﴾ فِى بِضْعِ سِنِينَ ۗ لِلَّهِ ٱلْأَمْرُ مِن قَبْلُ وَمِنۢ بَعْدُ ۚ وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿٤﴾ بِنَصْرِ ٱللَّهِ ۚ يَنصُرُ مَن يَشَآءُ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ »(الروم ١:٥). وكلمة "بضع" في اللغة تدل على ما بين ثلاث وتسع، وقد جاء انتصار الروم على الفرس بعد سبع سنين من نزول الآية.

وعن نيار بن مكرم الأسلمي رضي الله عنه قال: (لمَّا نزلت: «الٓمٓ ﴿١﴾ غُلِبَتِ ٱلرُّومُ ﴿٢﴾ فِىٓ أَدْنَى ٱلْأَرْضِ وَهُم مِّنۢ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ ﴿٣﴾ فِى بِضْعِ سِنِينَ »، كانت فارس يوم نزلت هذه الآية قاهرين للروم، وكان المسلمون يحبون ظهور الروم عليهم لأنهم وإياهم أهل كتاب، وفي ذلك قول الله تعالى: «وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ بِنَصْرِ اللَّهِ يَنْصُرُ مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ»، وكانت قريش تحب ظهور فارس لأنهم وإياهم ليسوا بأهل كتاب ولا إيمان ببعث، فلمَا أنزل الله هذه الآية خرج أبو بكر الصّديق يصيح في نواحي مكة: «الٓمٓ ﴿١﴾ غُلِبَتِ ٱلرُّومُ ﴿٢﴾ فِىٓ أَدْنَى ٱلْأَرْضِ وَهُم مِّنۢ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ ﴿٣﴾ فِى بِضْعِ سِنِينَ »، قال ناسٌ من قريش لأبي بكر رضي الله عنه فذلك بيننا وبينكم، زعم صاحبُك أن الروم ستغلب فارس في بضع سنين، أفَلا نراهنك على ذلك ؟ قال: بلى وذلك قبل تحريم الرّهان: فارتَهن أبو بكر والمشركون وتواضعوا الرِّهان وقالوا لأبي بكر: كم تجعل البضع، ثلاث سنين إلى تسع سنين؟ فسمِّ بيننا وبينك وسطا تنتهي إليه، قال: فسمُّوا بينهم ستَّ سنين. قال: فمَضت الستُّ سنين قبل أن يظهروا، فأخذ المشركون رَهن أبي بكر، فلما دخلت السّنة السابعة ظهرت الروم على فارس فعاب المسلمون على أبي بكر تسمية ستّ سنين، قال: لأن الله تعالى قال: في بضع سنين. قال: وأسلَم عند ذلك ناسٌ كثير) رواه الترمذي وحسنه الألباني. قال ابن كثير رحمه الله: "هذا الذي أخبرناك به- يا محمد- من أنا سننصر الروم على فارس وعد من الله حق، وخبر صدق لا يُخلف، ولا بد من كونه ووقوعه". وقال السعدي رحمه الله: "وهذا من الأمور الغيبية التي أخبر بها الله قبل وقوعها ووُجدت في زمان من أخبرهم الله

بها من المسلمين والمشركين".

٢- الإسراء والمعراج:

تُعدُ معجزة الإسراء والمعراج من أكبر المعجزات التي أيّد الله- تعالى- بها نبيّه محمد-صلّى الله عليه وسلّم- بعد القرآن الكريم، والثابت عند أهل السنة والجماعة أنّ رسول الله قد عُرج بجسده وروحه وهو في حالة اليقظة إلى السماء، وأسْري به من المسجد الحرام في مكة المكرمة إلى المسجد الأقصى.

ولا ريب أن الإسراء والمعراج من آيات الله العظيمة الدالة على صدق رسوله محمد صلى الله عليه وسلم، وعلى عظم منزلته عند الله عز وجل، كما أنها من الدلائل على قدرة الله الباهرة، وعلى علوه سبحانه وتعالى على جميع خلقه، قال الله سبحانه وتعالى: (سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا ٱلَّذِى بَٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ لِنُرِيَهُۥ مِنْ ءَايَٰتِنَآ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ) (الإسراء/١).

وتواتر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه عرج به إلى السماوات، وفتحت له أبوابها حتى جاوز السماء السابعة، فكلمه ربه سبحانه بما أراد، وفرض عليه الصلوات الخمس.

قال الطحاوي رحمه الله في عقيدته المشهورة: " والمعراج حق، وقد أسري بالنبي وعرج بشخصه في اليقظة إلى السماء، ثم إلى حيث شاء الله من العلا، وأكرمه الله بما شاء وأوحى إليه ما أوحى، ما كذب الفؤاد ما رأى؛ فصلى الله عليه وسلم في الآخرة والأولى " انتهى

وقال الشيخ حافظ الحكمي في "معارج القبول" (١٠٦٧/٣): " ولو كان الإسراء والمعراج بروحه في المنام لم تكن معجزة، ولا كان لتكذيب قريش بها وقولهم: كنا نضرب أكباد الإبل إلى بيت المقدس، شهرا ذهابا وشهرا إيابا، ومحمد يزعم أنه أسرى به الليلة وأصبح فينا إلى آخر تكذيبهم واستهزاءهم به صلى الله عليه وسلم لو كان ذلك رؤيا مناما لم يستبعدوه ولم يكن لردهم عليه معنى؛ لأن الإنسان قد يرى في منامه ما هو أبعد من بيت المقدس ولا يكذبه أحد استبعاد لرؤياه، وإنما قص عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم مسرى حقيقة يقظة لا مناما فكذبوه واستهزؤوا به استبعاد لذلك واستعظامًا له مع نوع مكابرة لقلة علمهم بقدرة الله عز وجل وأن الله يفعل ما يريد ولهذا لما قالوا للصديق وأخبروه الخبر قال: إن كان قال ذلك لقد صدق. قالوا وتصدقه بذلك ؟ قال: نعم إني لأصدقه فيما هو أبعد من ذلك في خبر السماء يأتيه بكرة وعشيا أو كما قال " انتهى.

٣- انتصار المسلمين في غزوة بدر الكبرى:

فقد أخبر القرآن الكريم عن الانتصار العظيم في غزوة بدر قبل وقوعها، قال الله تعالى: « أَمْ يَقُولُونَ نَحْنُ جَمِيعٌ مُّنتَصِرٌ ﴿٤٤﴾ سَيُهْزَمُ ٱلْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ ٱلدُّبُرَ ﴿٤٥﴾ بَلِ ٱلسَّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ وَٱلسَّاعَةُ أَدْهَىٰ وَأَمَرُّ »(القمر:٤٤-٤٦)، قال القرطبي: "وهذا من معجزات النبي صلى الله عليه وسلم، لأنه أخبر عن غيب فكان كما أخبر"، وعن عبد الله بن عباس رضي الله عنه: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال وهو في قُبَة له يوم بدر: (أَنشُدُك عهدك ووعدَك، اللهمَّ إن شئتَ لم تُعبدْ بعد اليوم أبدا. فأخَذ أبو بكر بيده وقال: حسبُك يا رسول الله، فقد ألححتَ على ربك، وهو في الدِّرع، فخرج وهو يقول: « سَيُهْزَمُ ٱلْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ ٱلدُّبُرَ ﴿٤٥﴾ بَلِ ٱلسَّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ وَٱلسَّاعَةُ أَدْهَىٰ وَأَمَرُّ » رواه البخاري.

٤- آية انشقاق القمر:

آية انشقاق القمر معجزة عامة شاهدها المسلم والكافر، ولم ينشق القمر لأحد غير نبينا صلى الله عليه وسلم، قال الخطابي: "انشقاق القمر آية عظيمة لا يكاد يعدلها شيء من آيات الأنبياء". وانشقاق القمر من الأحداث النادرة التي استجاب الله تعالى فيها لطلب المشركين رؤية آية من النبي صلى الله عليه وسلم، فعن أنس رضي الله عنه قال: (سأل أهل مكة رسول الله صلى الله عليه وسلم آيةً فأراهم انشقاق القمر، فنزلت: « ٱقْتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ وَٱنشَقَّ ٱلْقَمَرُ ﴿١﴾ وَإِن يَرَوْا۟ ءَايَةً يُعْرِضُوا۟ وَيَقُولُوا۟ سِحْرٌ مُّسْتَمِرٌّ »(القمر ١: ٢) رواه البخاري.

هذا ما وفقنا الله إليه، وللحديث بقية إن شاء الله تعالى والله من وراء القصد.

والحمد لله رب العالمين.

وصية الرسول صلى الله عليه وسلم عند موته

إعداد الشيخ/ عبده أحمد الأقرع

الحمد لله الهادي إلى سواء السبيل، وأصلي وأسلم على خاتم النبيين، وامام المرسلين وعلى آله وأصحابه إلى يوم الدين.

أما بعد: فلا ريب أن الصلاة قرة عيون المحبين، ولذة أرواح الموحدين، وبستان العابدين، ولذة نفوس الخاشعين، ومحك أحوال الصادقين، وميزان أحوال السالكين، وهي رحمة الله المهداة إلى عباده المؤمنين.

فلا يستقيم دين المسلم، ولا تصلح أعماله، ولا يعتدل سلوكه في شئون دينه ودنياه، حتى يقيم هذه الصلاة على وجهها المشروع عقيدة وعبادة، متأسيًا برسول الله صلى الله عليه وسلم، وإن مما يدل على مكانة الصلاة وعظم قدرها: إيجابَ الله تعالى إياها على جميع النبيين -عليهم الصلاة والسلام- وهي المنحة التي منحها الله خليله ومصطفاه نبينا محمد بن عبد الله مشافهةً بدون واسطة من فوقِ السماوات العلى ليلة الوصل الأعظم مكافأةً له على ما قام به من العبودية الصادقة للربوبية، بما لم يسبقه إليه سابق، ولن يلحقه لاحق، فكانت الصلة والمنحة الكريمة التي تفضل الله بها على عبده ورسوله محمد صلى الله عليه وسلم (الصلاة)، فكانت قرة عينه صلى الله عليه وسلم كما أخبر بذلك عليه الصلاة والسلام: «وجعلت قرة عيني في الصلاة». (صحيح الجامع (٣١٢٤). وكان صلى الله عليه وسلم إذا حزبه أمر صلى. (رواه أحمد (٣٨٨/٥)، وصحيح الجامع (٤٧٠٣)، وكان يقول صلى الله عليه وسلم: «قم يا بلال فأرحنا بالصلاة». (رواه أحمد (٣٧١/٥). وهي خاتمة وصيته صلى الله عليه وسلم عند آخر عهده من الدنيا.

عن أنس رضي الله عنه قال: كانت عامة وصية رسول الله صلى الله عليه وسلم حين حضرته الوفاة وهو يغرغر بنفسه: «الصلاة وما ملكت أيمانكم». (صحيح الجامع (٣٧٦٧).

وكان صلى الله عليه وسلم في مرضه الذي توفي فيه إذا وجد من نفسه خفة خرج إلى الصلاة يهادَى بين رجلين تخطّ رجلاه الأرض من الوجع. فعن الأسود قال: كنا عند عائشة رضي الله عنها، فذكرنا المواظبة على الصلاة والتعظيم لها، قالت: لما مرض رسول الله صلى الله عليه وسلم مرضه الذي مات فيه، فحضرت الصلاة، فأذن، فقال: مروا أبا بكر فليصل بالناس، فقيل له: إن أبا بكر رجل أسيف، إذا قام في مقامك لم يستطع أن يصلي بالناس، وأعاد، فأعادوا له، فأعاد الثالثة، فقال: «إنكن صواحب يوسف، مرُوا أبا بكر فليصلِّ بالناس»، فخرج أبو بكر فصلى فوجد النبي صلى الله عليه وسلم من نفسه خفة، فخرج يهادى بين رجلين كأني

أنظر رجليه تخطان من الوجع، فأراد أبو بكر أن يتأخر، فأومأ إليه النبي صلى الله عليه وسلم أن مكانك، ثم أتي به حتى جلس إلى جنبه- قيل للأعمش: وكان النبي صلى الله عليه وسلم يصلي، وأبو بكر يصلي بصلاته، والناس يصلون بصلاة أبي بكر؛ فقال برأسه: «نعم». (صحيح البخاري (٢٢٨).

فساقت رضي الله عنها في هذا المجلس المبارك القائم على تذاكر شأن الصلاة والمواظبة عليها، وفي هذا من التربية والتعليم بالقدوة ما لا يخفى.

وفي فجر يوم الإثنين-اليوم الذي توفي فيه صلى الله عليه وسلم- كشف ستر حجرته ليلقي نظرة على أصحابه، هي نظرة الوداع، وما أعظمه من وداع! فعن أنس بن مالك رضي الله عنه: أن أبا بكر كان يصلي لهم في وجع النبي صلى الله عليه وسلم الذي توفي فيه حتى إذا كان يوم الإثنين وهم صفوف في الصلاة، فكشف النبي صلى الله عليه وسلم ستر الحجرة ينظر إلينا، وهو قائم كأن وجهه ورقة مصحف، ثم تبسم يضحك، فهممنا أن نفتتن من الفرح برؤية النبي صلى الله عليه وسلم، فنكص أبو بكر على عقبيه ليصل الصف وظن أن النبي صلى الله عليه وسلم خارج إلى الصلاة، فأشار إلينا النبي صلى الله عليه وسلم أن أتموا صلاتكم، وأرخى الستر، فتوفي من يومه. (البخاري (٦٨٠)، ومسلم (٤١٩).

وهكذا عبد رسول الله صلى الله عليه وسلم ربه ممتثلاً أمر الله عز وجل: « وَٱعۡبُدۡ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأۡتِيَكَ ٱلۡيَقِينُ » (الحجر: ٩٩).

لنتأمل متعظين ومعتبرين حال نبينا وأسوتنا وقدوتنا صلى الله عليه وسلم وهو ينظر إلى أمته وهم في المسجد نظرة وداع، ينظر نظرة هي قرة عين له -عليه الصلاة والسلام- فقد كانت الصلاة قرة عينه صلى الله عليه وسلم، وقد أقر الله عينه في صبيحة اليوم الذي توفي فيه بأن رأى أمته مجتمعين في المسجد على هذه الصلاة، تبسم يضحك-عليه الصلاة والسلام-، إنه تبسُّم وفرح وسرور، وضحك أنس وهناءه برؤيته لأمته مجتمعة في المسجد على هذه الصلاة، وأرخى الستر -عليه الصلاة والسلام- قرير العين برؤية هذا المنظر المفرح والصورة المبهجة، أمته-أمة الإسلام- مجتمعة في المسجد تصلي، أقر الله عين نبيه صلى الله عليه وسلم بهذه الصورة البهيجة، والحالة المفرحة، بل جاء ما هو أبلغ من هذا، عن أم سلمة رضي الله عنها زوج النبي صلى الله عليه وسلم: أنه كان عامة وصية نبي الله صلى الله عليه وسلم عند موته: «الصلاة الصلاة، وما ملكت أيمانكم»، حتى جعل نبي الله صلى الله عليه وسلم يلجلجها في صدره، وما يفيض بها لسانه. (الإرواء (٢٣٨/٧).

وهذا بلا ريب يدلنا على عظم مكانة الصلاة في الإسلام، وعظم عناية نبينا صلى الله عليه وسلم بها، ولما طال العهد تناسي البعض مكانة هذه العبادة العظيمة، فلم يبالوا بها، قال الله تعالى بعد ثنائه على أنبيائه: « فَخَلَفَ مِنۢ بَعۡدِهِمۡ خَلۡفٌ أَضَاعُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَٱتَّبَعُواْ ٱلشَّهَوَٰتِۖ فَسَوۡفَ يَلۡقَوۡنَ غَيًّا » (مريم: ٥٩). ومما يحزّ في النفس ويؤلم القلب: أنه لا يزال في عداد المنتسبين إلى الإسلام من لا يرفع رأسه بها، ونسي المسكين أن الصلاة هي الركن الثاني من أركان الإسلام بعد الشهادتين.

ونسي أنها أول ما يحاسب عليه العبد يوم القيامة. قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إن أول ما يُحاسب به العبد يوم القيامة من عمله صلاته، فإن صلحت فقد أفلح وأنجح، وإن فسدت فقد خاب وخسر». (صحيح الجامع (٢٠٢٠).

وحسب تارك الصلاة هذا الوعيد، يقول الله تعالى: « كُلُّ نَفۡسِۭ بِمَا كَسَبَتۡ رَهِينَةٌ ﴿٣٨﴾ إِلَّآ

أَصْحَابَ الْيَمِينِ ﴿٣٩﴾ فِي جَنَّاتٍ يَتَسَاءَلُونَ ﴿٤٠﴾ عَنِ الْمُجْرِمِينَ ﴿٤١﴾ مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرَ ﴿٤٢﴾ قَالُوا لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ» (المدثر: ٣٨- ٤٣).

ويقول عز وجل: «وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ارْكَعُوا لَا يَرْكَعُونَ ﴿٤٨﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ» (المرسلات: ٤٨-٤٩).

ذكر هذا عز وجل بعد قوله: «كُلُوا وَتَمَتَّعُوا قَلِيلًا إِنَّكُمْ مُجْرِمُونَ» (المرسلات: ٤٦).

ويقول عز وجل: «يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ وَيُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ ﴿٤٢﴾ خَاشِعَةً أَبْصَارُهُمْ تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ وَقَدْ كَانُوا يُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ وَهُمْ سَالِمُونَ» (القلم: ٤٢-٤٣)، فضياع الصلاة حرمان من كل خير في الدنيا والآخرة وخسران مبين، فتب إلى ربك يا تارك الصلاة قبل انتهاء الأجل فيصدق فيك قول ربنا عز وجل: «كَلَّا إِذَا بَلَغَتِ التَّرَاقِيَ ﴿٢٦﴾ وَقِيلَ مَنْ رَاقٍ ﴿٢٧﴾ وَظَنَّ أَنَّهُ الْفِرَاقُ ﴿٢٨﴾ وَالْتَفَّتِ السَّاقُ بِالسَّاقِ ﴿٢٩﴾ إِلَى رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمَسَاقُ ﴿٣٠﴾ فَلَا صَدَّقَ وَلَا صَلَّى ﴿٣١﴾ وَلَكِنْ كَذَّبَ وَتَوَلَّى ﴿٣٢﴾ ثُمَّ ذَهَبَ إِلَى أَهْلِهِ يَتَمَطَّى ﴿٣٣﴾ أَوْلَى لَكَ فَأَوْلَى ﴿٣٤﴾ ثُمَّ أَوْلَى لَكَ فَأَوْلَى» (القيامة: ٢٦-٣٥)، فيا عظم مصيبة تؤمل إذا ضيعت هذه الصلاة التي هي صلة بين العبد وبين الله الذي خلقه فسواه.

وصنف آخر يصلون ولكن يصلون في بيوتهم بدون عذر شرعي.

وقد أتى النبي صلى الله عليه وسلم رجل أعمى فقال: يا رسول الله: إنه ليس لي قائد يقودني إلى المسجد، فسأل رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يرخص له فيصلي في بيته، فرخص له، فلما ولى دعاه فقال: «هل تسمع النداء بالصلاة؟» فقال: نعم، قال: «فأجب». (مسلم (٤٥٢/١)). فلم يرخص صلى الله عليه وسلم للأعمى أن يصلي في بيته ويتخلف عن الجماعة، فما بالك يا من متعك الله ببصرك تتخلف عن الجماعة.

فشهود الجماعة عنوان الإيمان، كما أن التخلف عنها عنوان النفاق والضلال، ورضي الله عن ابن مسعود حيث قال: «مَن سرَّه أن يلقى الله غدًا مسلمًا فليحافظ على هؤلاء الصلوات حيث ينادى بهن، فإن الله شرع لنبيكم صلى الله عليه وسلم سنن الهدى، وإنهن من سنن الهدى، ولو أنكم صليتم في بيوتكم كما يصلي هذا المتخلف في بيته لتركتم سنة نبيكم ولو تركتم سنة نبيكم لضللتم، ولقد رأيتنا وما يتخلف عنها إلا منافق معلوم النفاق ولقد كان الرجل يؤتي به يهادى بين الرجلين حتى يُقام في الصف». (مسلم (٦٥٤)).

فإذا كان هذا شأن من لم يشهد الصلاة مع الجماعة، يعده الصحابة رضي الله عنهم معلوم النفاق، فكيف إذًا بالتارك لها؟! نسأل الله العافية والسلامة.

وصنف آخر يصلون ولكنهم لا يعرفون فائدة الصلاة حقيقة، ولا يقدرونها حق قدرها ولذلك ثقلت عليهم، ولم تكن قرة لأعينهم، ولا راحة لأنفسهم، ولا نورًا لقلوبهم؛ ينقرون الصلاة نقر الغراب لا يطمئنون فيها ولا يذكرون الله فيها إلا قليلاً يسرقون من صلاتهم، وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «أسوأ الناس سرقة، الذي يسرق من صلاته، لا يتم ركوعها ولا سجودها، ولا خشوعها». (صحيح الجامع (٩٨٦)).

وقال صلى الله عليه وسلم: «إن الرجل لينصرف وما كتب له إلا عشر صلاته تسعها ثمنها سبعها سدسها خمسها ربعها ثلثها نصفها». (صحيح الجامع (١٦٢٦)).

وصنف آخر من الناس يصلون ولكن لا تُرى آثار لصلاة عليهم، لا يتأدبون بآدابها؛ فُحش في القول، وإساءة في الفعل، وتعسُّف في الأخلاق، وإصرار على المعاصي، وقد بين رب العزة عز وجل الغاية من الصلاة فقال عز وجل: «اتْلُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ وَأَقِمِ الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ» (العنكبوت: ٤٥). يعني أن الصلاة تشتمل على شيئين: على ترك الفواحش والمنكرات.

وصنف أخر يقتصر على صلاة الفريضة فقط، ويزهد في السنن الرواتب، والرسول صلى الله عليه وسلم يبين فضل التطوع فيقول صلى الله عليه وسلم: «إن أول ما يحاسب به العبد يوم القيامة من عمله

صلاته، فإن صلحت فقد أفلح وأنجح، وإن فسدت، فقد خاب وخسر، فإن انتقص من فريضته شيئًا، قال الرب عز وجل: انظروا، هل لعبدي من تطوع فيكمل بها ما انتقص من الفريضة، ثم تكون سائر أعماله على هذا». (صحيح الجامع (٢٠٢٠).

وصنف آخر يصلون ولكنهم لا يهتمون بأمر أهليهم بالصلاة. وأمر الأهل بالصلاة، أمر إلهي، وتوجيه رباني، أكثر الناس فيه مفرط وله مضيع، قال الله عز وجل: «وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَوٰةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا لَا نَسْأَلُكَ رِزْقًا نَّحْنُ نَرْزُقُكَ وَالْعَاقِبَةُ لِلتَّقْوَىٰ» (طه: ١٣٢). وهذا أمر من الله عز وجل لنبيه ومصطفاه محمد بن عبد الله- صلوات الله وسلامه عليه- وما أمر الله- جل وعلا- به نبيه صلى الله عليه وسلم فهو أمر لأمته ما لم يقم دليل على تخصيص ذلك، ولا مخصص لهذا باتفاق أهل العلم، فوجب على كل أب وكل ولي أمر أن يُعنَى بأبنائه عناية عظيمة، وأن يتابعهم متابعة دقيقة في شأن الصلاة التي هي أعظم أركان الإسلام بعد الشهادتين، بعد أن يكون هو في نفسه محافظًا عليها معتنيًا بها، فيكون في نفسه قدوة لأبنائه ثم يكون متابعًا لهم حثًا وحضًا، وما جنى أب على أولاده بمثل إهمالهم في شأن الصلاة، ورحم الله ابن القيم حين قال: «فمن أهمل تعليم ولده ما ينفعه وتركه سدى، فقد أساء إليه غاية الإساءة، وأكثر الأولاد إنما جاء فسادهم من قبل الآباء وإهمالهم لهم، وترك تعليمهم فرائض الدين وسننه فأضاعوهم صغارًا فلم ينتفعوا بأنفسهم، ولم ينفعوا آباءهم كبارًا». (تحفة المودود ص (٢٢٩).

وتأمل في هذا المقام ثناء الله عز وجل على نبيه إسماعيل - عليه الصلاة والسلام- قال تعالى مثنيًا عليه: «وَكَانَ يَأْمُرُ أَهْلَهُ بِالصَّلَوٰةِ وَالزَّكَوٰةِ وَكَانَ عِندَ رَبِّهِ مَرْضِيًّا» (مريم: ٥٥)، فكان مرضيًا عند الله لأنه بذل الأسباب التي ينال بها رضا الله عز وجل، وأعظم ذلك العناية بالصلاة حفظًا لها ومحافظة عليها وأمر أهله بها، وهذا نبينا رسول الله محمد صلى الله عليه وسلم قدوتنا وأسوتنا، يتفقد عليًا وفاطمة رضي الله عنهما، ويقول لهما: «ألا تصليان؟». (متفق عليه)؛ وكان ذلك ليلاً يعني: ألا تصليان قيام الليل، فكيف بالصلوات المكتوبات؟

وصنف آخر: علموا أنه لا يستقيم دين المسلم، ولا تصلح أعماله، ولا يعتدل سلوكه في شئون دينه ودنياه، حتى يقيم هذه الصلاة على وجهها المشروع عقيدة وعبادة، ممتثلاً أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم: «صلوا كما رأيتموني أصلي». (البخاري (٦٣١)، ومسلم (٦٧٤)، ألا فلنتق الله في صلاتنا التي كثر استهانة البعض بأمرها، وتهاونهم في شأنها، وإضاعتهم لها ولشروطها، وأركانها وواجباتها في حال أسيفة، وأمور مؤلمة، وواقع أليم وضياع الصلاة حرمان من كل خير في الدنيا والآخرة، وخسران مبين، فإياك أن تأبى لنفسك إلا أن تعيش الهوان، وتنال الذل والخسران، فإن مَن ضيّع الصلاة حكم على نفسه بذلك، ورضي لنفسه حياة الهوان، نعم، أي خير يرتجى، وأي فضيلة تؤمل إذا ضيعت هذه الصلاة التي هي صلة بين العبد وربه؟

وعند الله -جل وعلا- ملتقى الخلائق والعباد، وهناك المجازاة والمحاسبة، فليغتنم العبد وجوده في هذه الحياة لإصلاح نفسه، وتزكية حاله، وإطابة عمله قبل تمني الرجعة فلا يُجاب «حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ (٩٩) لَعَلِّيٓ أَعْمَلُ صَٰلِحًا فِيمَا تَرَكْتُ كَلَّآ إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَآئِلُهَا وَمِن وَرَآئِهِم بَرْزَخٌ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ» (المؤمنون: ٩٩-١٠٠).

«رَبِّ اجْعَلْنِى مُقِيمَ الصَّلَوٰةِ وَمِن ذُرِّيَّتِى رَبَّنَا وَتَقَبَّلْ دُعَآءِ» (إبراهيم: ٤٠).

والحمد لله رب العالمين.

الحفاظ على الهوية الإسلامية لدعم ومناصرة القضايا العربية

إعداد أ.د. عبد الوارث عثمان
أستاذ الفقه المقارن بجامعة الأزهر

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وبعد: فنحن في هذه الفترة التاريخية الحاسمة تحرص الأمة العربية على مزيد من الدعم في مرحلة إعادة البناء والنهضة للحاق بركب الحضارة والتقدم، خصوصًا ونحن نشهد حركة الانفتاح الثقافي والاقتصادي العالمي يصحبها تضارب المصالح واختلاف وجهات النظر حولها إلى جانب السلوكيات والعادات الاجتماعية التي ألفها العالم الغربي ويدافع عنها باعتبارها مدنية وحرية وحضارة في تصوره الاجتماعي، وهي في الإسلام ممقوتة جالبة لسخط الله وغضبه تشذ عن الفطرة التي فطر الله الناس عليها، وهي منتهى الخسة وانعدام المروءة في العرف العربي الأصيل الذي ترسخت في وجدانه حقائق الإسلام الثابتة بحيث يصعب عليه تقبلها أو الاقتناع بها.

ولا شك أن تاريخ الاسلام قد تعرض لكثير من محاولات التشويه والتجني لا من الصياغات الأوروبية التي شارك فيها كثير من كتاب اليهود فحسب، بل شارك في ذلك أتباع التيارين القومي والليبرالي في العالم العربي.

فقد حاول القوميون العرب تحميل فترات الحكم الإسلامي عبر تاريخه الطويل وفي عصوره المتنوعة كافة التراكمات السياسية والاجتماعية والاقتصادية والثقافية التي أضعفت أمة الإسلامية، وذلك بالتركيز على الجوانب السلبية لهذه الفترات، واتبعوا الصياغات الأوروبية التي سعت إلى إلصاق تهمة التخلف الحضاري بالمسلمين نتيجة تمسكهم بالمنهج الإسلامي في تنظيم شئون الحياة، وزعموا أن فترة التاريخ الحديث تبدأ من احتكاك المشرق الإسلامي بالأوروبيين، بدءًا من حملة نابليون في نهاية القرن الثامن عشر، ومن تولي الأنظمة السياسية التي سعت للارتباط بالغرب كمحمد علي في مصر.

بيد أن التاريخ الإسلامي يزخر بالإنجازات العظيمة في العلوم والثقافة والسياسة والاقتصاد والعسكرية والأخلاق القويمة التي أفادت البشرية عامة والعرب خاصة؛ حيث ظهرت دعوة الإسلام بين أجلاف العرب من قريش وواجه أرباب الكفر وأئمة الضلال منهم فهزمهم وهدم بنيانهم الذي بنوه من

الخيالات والأوهام والجهل والظلم وعبادة الأوثان وقذف ما يدعون إليه في أودية الضلال ومسارب الأباطيل. وأزال ما ران على قلوبهم من العداوة والبغضاء والشحناء وامتدت رسالة الإسلام الخالدة إلى أنحاء الجزيرة العربية ومنها إلى كافة أنحاء الأرض حتى وصلت إلى الصين شرقًا وغربًا إلى حدود فيينا.

لقد أثمرت رسالة الإسلام المبادئ الراسخة والنظم القويمة الهادية في كل مجالات الحياة البشرية، فالتاريخ الحديث للإنسانية كلها يبدأ من بداية إعلان النبي محمد صلى الله عليه وسلم عن رسالته رسالة الإسلام الخالدة. ولا يضير الإسلام أبدًا أن أعرض عن أحكامه ونظمه مرضى النفوس من المنتمين إليه أو حتى من أعدائه الذين عملوا على شطر إتباعه إلى شطرين العرب والعجم وبين العرب بعضهم بعضًا وفصلوا بينهم بحدود اصطناعية ليضمنوا لأنفسهم الغلبة والقوة والاستعلاء في الأرض.

والغرب ومن تبعهم لا يدخرون وسعًا ولا يألون جهدًا في تمزيق الأمة الإسلامية وتمييع هويتها ومحوها واصطناع العقبات بين دولها والعبث بكل محاولة لتقاربها وبعض وسائلهم في ذلك:

أولاً: التشكيك الممنهج في أحكام الإسلام وشريعته ومصادره وتاريخه ورجاله.

ثانيًا: محو الهوية الإسلامية، وتمييع انتماء المسلم لدينه وإضعاف شخصيته وفقدان الثقة في بنفسه.

ثالثًا: افتعال القضايا الوهمية في المجتمعات الإسلامية بحيث ينشغلون بها عن قضاياهم الأساسية للحاق بركب الحضارة والتقدم الذي وصل إليه غيرهم صناعيًا واقتصاديًا.

رابعًا: التحريف المتعمد والتشويه المقصود للتاريخ الإسلامي الذي سجل أكبر تلاحم وترابط وتعاون بين الإنسانية جمعاء فلا فرق بين عربي وأعجمي ولا أسود ولا أبيض، وقد اجتمعوا جميعًا تحت راية الإسلام وهو أوثق رباط وأعظم صلة وأجل راية، دستورهم القرآن الكريم وحب النبي الكريم صلى الله عليه وسلم المتمثل في اتباع سنته وبذل الجهد في نشرها والدفاع عنها بالغالي والنفيس؛ فالذي فتح القدس وحرره من يد الصليبيين لم يكن عربيًا بل من الأكراد، إنه صلاح الدين الأيوبي؛ والبخاري الذي جمع الصحيح من أقوال النبي صلى الله عليه وسلم وأفعاله وما أقر أصحابه عليه لم يكن من العرب وغيرهما الكثير.

الحفاظ على الهوية:

ومن المُسلَّم به تاريخيًا أن المشرق الإسلامي والجناح السني منه على وجه الخصوص يدين للدولة العثمانية بالاستمرار والبقاء في ظل هويتهم الموحدة وبكل مقوماتها المعاصرة؛ حيث جاهدت هذه الدولة حقبة طويلة من الزمن وفي ميادين عديدة للحفاظ على هذه الهوية، ففي أعقاب الهجوم البرتغالي الإسباني على مسلمي الأندلس الذي أخذ شكلاً دينيًا متعصبًا، ونجاحهم في طرد المسلمين، واصل دعاة التعصب الديني الدعوة للهجوم على الوجود الإسلامي في الشمال الإفريقي، ونجحوا في الاستيلاء على العديد من المراكز الساحلية كسبتة وطليطلة ووهران وغيرها، وخرجت نداءات متعصبة منهم تدعو إلى مواصلة الزحف عبر مصر، وصولاً إلى جزيرة العرب؛ لإنهاء ما يسمى بالإسلام وهدم الكعبة، ونبش قبر النبي عليه الصلاة والسلام وهو اتجاه قادة البوكرك البرتغالي، ومن سايره من قادة البرتغال واسبانيا وباركته الكنيسة الكاثوليكية.

وكانت هذه الهجمة المتعصبة والشرسة كفيلة بتمزيق المشرق الإسلامي برُمته وتبديد هويته كما فعلت مع مسلمي الأندلس؛ فالمطالع لدور البرتغال في السعي للالتفاف حول إفريقيا، والذي كان في البداية، بهدف الوصول عن طريق الحبشة لمقدسات المسلمين، وكيف كانوا يحرقون المدن ويبيدون السكان في محارق جماعية على كل الساحل الإفريقي وهم ليسوا من أعدائهم المسلمين، ليدرك مدى موقفهم من المسلمين لو تمكنوا من بلادهم.

ضد الهجوم الصليبي المتعصب:

ومن هذا المنطلق كان دور الدولة العثمانية التي أوقفت زحفها على وسط أوروبا، وعقدت معاهدات سلام وهي المنتصرة؛ كي تسارع إلى المشرق الإسلامي بالمشاركة مع المماليك في الدفاع ضد هذا الهجوم الصليبي المتعصب؛ فسارعت بتقديم الدعم العسكري والمادي

للمماليك للتصدي للبرتغاليين، لكن المماليك هزموا في معركة " ديو" البحرية عام ١٥٠٩م، وتوجسوا خيفة من الدور العثماني بفعل الدسائس البرتغالية الصفوية، فعادوا ليراقبوا الدور العثماني ووجهوا سهامهم إليه بدلاً من البرتغاليين، ولم يكن يتحمل التأخير الذي كان يسعى له المستعمرون فكان التدخل العثماني في المشرق الإسلامي ضرورة سياسية ودينية لحمايته أرضًا ومقدسات وهوية.

كما سارع العثمانيون على جبهة أخرى لم تكن تقل شراسة في تعصبها عن هذه الجبهة وهي جبهة البحر المتوسط التي شاركت فيها مع الإسبان والبرتغاليين فرسان القديس يوحنا وجماعات أخرى توشحت بالوشاح الديني، فمدوا يد العون للمجاهدين المسلمين ممثلين في الأخوين عروج وخير الدين بربروسا، مما ساعدهم على استرداد الكثير من المراكز الساحلية من يد الإسبان خاصة، ثم تطور دورهم إلى حد إنشاء قوة نظامية على السواحل في المغرب الأوسط وأسهموا في إجبار الإسبان والبرتغاليين على إعادة النظر في مخططاتهم؛ فكان توجه البرتغال للالتفاف حول إفريقيا والإسبان في الاتجاه غربًا، وكان من نتاج الدور العثماني الذي لم يكن له أية أغراض سياسية، إن طالب المجاهدون وفاء الانضمام إلى الخلافة الإسلامية عن طواعية ليتقووا بها وتتقوى بهم.

ولذلك فإنه من الإنصاف اعتبار الوجود العثماني في المشرق الإسلامي فتحًا وليس غزوًا أو استعمارًا، وإنه في حفاظه على الشعوب الإسلامية واستمرارها يعد بداية لمرحلة تاريخية جديدة، وهو ما ينبغي أن يعد دينًا تاريخيًا يستوجب الاعتراف به لهذه الدولة التي نشأت وترعرعت تحت راية الإسلام منذ بداية ظهورها السياسي.

وهذا الترابط والتلاحم والتعاون الإسلامي في كل عصوره أظهر مدى تسامح المسلمين وعلاقتهم الطيبة بغير المسلمين منذ وثيقة المدينة. فبنظرة سريعة في سجلات التاريخ الإسلامي من مصادره الموثوقة وما يحويه من معلومات وأحداث تاريخية لا تشوبها شائبة؛ حيث إنها مصادر أصيلة تحمل كل مظاهر وسمات الأمانة العلمية في التدوين والنقل، نجد أن هذه المصادر سجلت أنَّ جُلَ حكام الفترات الإسلامية عبر العصور المختلفة كانوا يمتثلون للأحكام الإسلامية، ويتحركون في الإطار الذي خطه الشرع الشريف، خاصة فيما يتعلق بغير المسلمين الذين يعيشون في أراضي المسلمين.

حقوق كفلها الإسلام:

لقد كانوا يتعاملون مع هؤلاء من منطلق المحافظة على حقوقهم التي كفلها لهم الإسلام دون الأخذ في الاعتبار اللون أو اللغة أو العرْق، وكانوا يعقدون مع الدولة صلحًا تحت لواء الشريعة، وهم من أطلق عليهم "الذميون" يعطون من الحقوق والمكاسب ما لم تُعط لأحد في نفس الظروف والأوضاع.

عهد على ألا تمس الكنائس والممتلكات بسوء:

بعد فتح السلطان محمد الفاتح للقسطنطينية حينما ذهب عدد من الرهبان والقساوسة إليه يطلبون العيش في ظل الدولة تحت أحكام الشريعة الإسلامية مما دعا البعض إلى القول بأن حقيقة فتح القسطنطينية كان صلحًا، ولم يكن حربًا كما ذاع في كتب التاريخ.

كما انعكس ذلك أيضًا على أناس لم يكن بينهم وبين الدولة العثمانية أي صلة حتى ذاك الحين، من أمثال رهبان وقساوسة القدس الشريف الذين سارعوا بتشكيل وفد ليذهب إلى القسطنطينية لتهنئة السلطان على هذا الفتح، ولكي يطلبوا منه عهدًا على كنائسهم وأموالهم وممتلكاتهم من أن يمسَّها أحد بسوء.

وعلى الفور يكتب السلطان محمد الفاتح وثيقة عهد إليهم يجيبهم إلى كل ما يطلبون، ولا ينسى أن يضمن هذا العهد أنه تم على نسق عهود سبقت عليه، منه ما استنه رسول الله صلى الله عليه وسلم للمسلمين من ضرورة معاملة أهل الذمة وحمايتهم ورعايتهم، وكذا العهد العمري الشهير وعهد صلاح الدين الأيوبي في مواقف مشابهة.

وهذا كله يرد على أكذوبة ضياع حقوق أصحاب الديانات في حال وجود نهضة عربية على أساس إسلامي، ويكشف المقولة إن الوحدة بين الدول الإسلامية يمثل خطورة على الأقليات غير المسلمة.

لقد كانت الوحدة ولا تزال تمثل إحدى

المقومات الأساسية المهمة لتقدم الشعوب ونهضة الأمم ولقد حث الإسلام المسلمين على الوحدة والتضامن والتعاون في مختلف المجالات والميادين بقول الله تعالى: (وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا) آل عمران: ١٠٣.

وأرشد الرسول صلى الله عليه وسلم إلى وحدة الأمة في حديثه الشريف: "المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا وشبك بين أصابعه".

وقد سجل التاريخ بمداد من ذهب مجد القيادة الشامخة والطليعة الفذة للأمة الإسلامية، يوم أن كانت الأمة متحدة متضامنة متعاونة، بل إن تمسك المسلمين الأوائل بالتوحيد الخالص والتوجيه الرباني، هو الذي جعل أمة الإسلام خير أمة أخرجت للناس.

والمسلمون على وجه العموم والعرب خاصة يواجهون اليوم تحديات جمة بسبب تفرقهم، مما يوجب عليهم مراجعة أوضاعهم، ومعالجة أسباب الفرقة والحرص على جمع الكلمة ووحدة الصف. وهذا يستلزم الاستناد إلى كتاب الله عز وجل وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم القائل: "تركت فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا بعدي: كتاب الله وسنتي".

والوصول إلى تحقيق الأمة الإسلامية والعربية للوحدة والتعاون لا بد من الحفاظ على الهوية الإسلامية ولا يكون ذلك إلا بالدعوة المستمرة إلى تحكيم كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم في حياة المسلمين والمتابعة لمنهاج السلف الصالح ونشر ذلك بين المسلمين حكامًا وشعوبًا، حتى يتجه المسلمون جميعًا نحو هدف واحد وغاية واحدة في مواجهة الهجمة الظالمة على الإسلام والتي تمضي قدمًا في النَّيل من أُسسه، وتَشوِّه صورته، وتعمد إلى غمط حقائقه الناصعة.

العرب أفضل الأمم عندما ينقادون بالدين:

إن بعض الأمم قد تمضي في طريق التقدم كمن يمشي بعين عوراء وقدم عرجاء، ومع ذلك تصل إلى مبتغاها الحضاري في الإطار المادي والدنيوي.

لكن الطبيعة الشرقية بعامة والعرب بخاصة لا يصلحون: كما قال ابن خلدون: بغير نبي ودين !!.. فالدين هو الذي يوحدهم، ويعالج أمراضهم الأخلاقية العنصرية، ويهذب وجدانهم، ويعطيهم الدافع الحضاري للتميز والإبداع والتقدم، والامتداد في الأرض.

بل هم أفضل الشعوب عندما ينقادون للدين، وقد أثبت التاريخ الإسلامي أنه لا يوجد جنس من الأجناس الإسلامية استطاع أن يخرج للدنيا أمثال: أبي بكر، وعمر، وعثمان، وعلي، ومصعب بن عمير.... وغيرهم من نماذج الصحابة والتابعين الذين شرفت بهم الدنيا عندما أصبحت العروبة عروبة مؤمنة ذات رسالة دينية عالمية.

إن عزة العرب ومجدهم وقيادتهم الحضارية لم تتحقق إلا بوجود النبوة والدين فيهم، وهما ضرورة حتمية لنهضتهم ونصرهم واستخلافهم في الأرض وهم بغير النبوة والدين يصبحون من المتخلفين ومجرد شرذمة في الأرض يتآكلون داخليًا، والواقع الذي نعيشه يشهد على ذلك.

إن إيماننا بهذا لا يعني الانتقاص من أيِّ جنس من أجناس الحضارة الإسلامية، فلا ننكر أن البربر والترك والفرس والهنود قد قاموا بأدوار إيجابية كثيرة في الحضارة الإسلامية واندمجوا في العروبة "دينًا وعلمًا وحبًّا للقرآن الموحى به إلى النبي العربي الهاشمي صلى الله عليه وسلم". وما تحركت فيهم الشعوبية ضد العرب إلا بأخطاء بعض العرب العنصريين المتباهين بقحطانيتهم وعدنانيتهم: على حساب الإسلام وموازينه التي ترد على لسان رسول الله محمد النبي العربي صلى الله عليه وسلم عندما يقول في خطبة الوداع: "ليس لعربي على أعجمي ولا لأعجمي على عربي ولا لأسود على أبيض ولا أبيض على أسود فضل إلا بالعمل والتقوى" (المعجم الكبير للطبراني ج ١٨/١٣).

وكذلك ترد في القرآن الكريم واضحة كل الوضوح في قوله تعالى: «وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ» (الحجرات: ١٣)؛ وإنما معناه إنصاف العرب الذين اختار الله منهم النبي محمدًا رسول الله صلى الله عليه وسلم أفضل البشر وخاتم النبيين، وأنزل القرآن بلغتهم، والله أعلم حيث يجعل رسالته.

والله المستعان.

واحة التوحيد

من نور كتاب الله

الحياة الطيبة مرهونة بالإيمان بالله والعمل الصالح

قال الله تعالى: "مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ"

(النحل: ٩٧)

من أقوال السلف

قال الإمام سفيان الثوري رحمه الله: "لا يستقيم قولٌ إلا بعملٍ، ولا يستقيم قولٌ وعملٌ إلا بنِيَّةٍ، ولا يستقيم قول وعمل ونية إلا بموافقة السُّنَّة".

(سير أعلام النبلاء)

من هدي رسول الله صلى الله عليه وسلم

الإكثار من الاستغفار

قال أبو هريرة رضي الله عنه: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: "والله إنِّي لأَسْتَغْفِرُ اللهَ وأَتُوبُ إليْهِ في اليَومِ أكْثَرَ مِن سَبْعِينَ مَرَّةً". (صحيح البخاري: ٦٣٠٧).

من فضائل الصحابة

قال ابن عمر رضي الله عنهما: "لا تسبُّوا أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم؛ فلمقام أحدهم ساعة خير من عمل أحدكم عُمره".

(أخرجه ابن أبي عاصم في كتاب السنة).

من دلائل النبوة

بشارات وصفات وعلامات النبي على لسان هرقل

عنْ أبي سفيان في حديث هرقل أنه قال: "فإنْ كانَ ما تقُولُ حقًّا فسيملكُ مَوْضِعَ قدمَيَّ هاتَيْنِ، وقدْ كُنتُ أعْلَمُ أنه خارجٌ، لمْ أكنْ أظنُّ أنَّه منكُم، فلوْ أنِّي أعلَمُ أنِّي أخْلُصُ إليْهِ لتجشَّمْتُ لقاءَهُ، ولو كُنْتُ عنده لغَسَلْتُ عن قدمه" (صحيح البخاري: ٧).

إعداد : علاء خضر

أحاديث باطلة لها آثار سيئة

"إن من الذنوب ذنوبًا لا يكفَرها الصلاة ولا الصيام ولا الحج ولا العمرة. قال: فما يكفرها يا رسول الله؟ قال: الهموم في طلب المعيشة". وهذا الحديث موضوع لا يصح.

(السلسلة الضعيفة للألباني)

حكَم ومواعظ

قال الفضيل: «إنَما نزل القرآن ليُعمَل به فاتَخذ النَاس قراءته عملاً، قيل: كيف العمل به؟ قال: ليحلُوا حلاله، ويُحرِّموا حرامه، ويأتمروا بأوامره، وينتهوا عن نواهيه، ويقفوا عند عجائبه»

(اقتضاء العلم العمل للخطيب البغدادي).

من حكمة الشعر

قال ابن أبي حازم:

ارضَ من المرء في مودَته
بما يؤدَي إليك ظاهره
من يكشف النَاس لا يرى أحدًا
تصحَ منه له سرائره

(العقد الفريد لابن عبد ربه).

من دعاء النبي صلى الله عليه وسلم

عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: كانَ من دُعاءِ رَسُولِ الله صلى الله عليه وسلم: اللَّهُمَّ إنِّي أعُوذُ بكَ من زَوالِ نِعْمَتِكَ، وتَحَوُّلِ عافيَتِكَ، وفُجاءةِ نِقْمَتِكَ، وجَميعِ سَخَطِكَ.

(صحيح مسلم: ٢٧٣٩).

قواعد ذهبية في توحيد رب البرية

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: "الاستعانة بالله، والتوكل عليه، واللجأ إليه، والدعاء له، هي التي تُقوِي العبد، وتُيسر عليه الأمور، ولهذا قال بعض السلف: مَن سرَه أن يكون أقوى الناس، فليتوكل على الله" (التحفة العراقية).

المعازف

إعداد د. متولي البراجيلي

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على خير المرسلين، وبعد:

فقد تكلمت في الحلقات السابقة عن تعريف المعازف، ورددت على النقد الموجه لحديث هشام بن عمار عن المعازف في صحيح البخاري، من ناحية السند، ومن ناحية المتن، ورددت على النقد الموجه له:

١- عدم الاتفاق على معنى كلمة المعازف.

٢- ضعف دلالة الاقتران. ٣- أن الاستحلال هو اعتقاد حلّ ما حرّمه الله ورسوله صلى الله عليه وسلم.

٤- أن التحريم في الحديث لاجتماع المذكورات الأربعة فيه.

٥- أن الوعيد على شرب الخمر وما المعازف إلا تابعة.

٦- أن الدف من المعازف، وقد جوزه المشرع، وهذا يعارض حرمة المعازف.

٧- أن المشرع أباح الغناء للنساء، وغناؤهن أشد تأثيرًا في النفس من المعازف.

وأستكمل بإذن الله تعالى النقد الموجه لمتن الحديث ولبعض الشبه حول المعازف.

٨- القول بأن الأصل في الأشياء الإباحة، والمعازف من ذلك. نعم إن الأصل في الأشياء الإباحة، قال الله تعالى: (هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ لَكُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا) (البقرة: ٢٩). وقال سبحانه وتعالى: (قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِىٓ أَخْرَجَ لِعِبَادِهِۦ وَٱلطَّيِّبَٰتِ مِنَ ٱلرِّزْقِ) (الأعراف ٣٢)، وقال تعالى: (وَقَدْ فَصَّلَ لَكُم مَّا حَرَّمَ عَلَيْكُمْ) (الأنعام ١١٩).

وفي حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: دعوني ما تركتكم، فإنما هلك من قبلكم بسؤالهم واختلافهم على انبيائهم، فإذا نهيتكم عن شيء فاجتنبوه، وإذا أمرتكم بشيء فأتوا منه ما استطعتم (متفق عليه).

وهذه قاعدة عظيمة، كما قال عنها شيخ الإسلام ابن تيمية: "إن الأصل في جميع الأعيان الموجودة على اختلاف أصنافها وتباين أوصافها أن تكون حلالًا.

وهذه كلمة جامعة ومقالة عامة وقضية فاضلة عظيمة المنفعة واسعة البركة، يفزع إليها حملة الشريعة فيما لا يحصى من الأعمال وحوادث الناس " (انظر مجموع الفتاوى ٢١/ ٥٣٥).

لكن إن ورد نص بالنهي فقد خرج من عموم القاعدة، وهو الإباحة إلى التحريم أو الكراهة بحسب الدليل وتوجيهه. يقول ابن القيم: "إن أصل الأفعال الإباحة، ولا يحرم منها إلا ما حرمه الله تعالى على لسان رسوله صلى الله عليه وسلم" (انظر إعلام الموقعين ٢/ ٢٧٩). وقال

ابن تيمية: "فاستقراء أصول الشريعة، أن العبادات التي أوجبها الله أو أباحها، لا يثبت الأمر بها إلا بالشرع، وأما العادات فهي ما اعتاده الناس في دنياهم مما يحتاجون إليه، والأصل فيه عدم الحظر، فلا يحظر فيه إلا ما حظره الله ورسوله" (انظر الفتاوى الكبرى ٤/ ١٢).

ومثال ذلك: الذهب والحرير للرجال، بحسب القاعدة فإنهما من المباحات، لكن ورد دليل من الشرع بالحظر، فما عادا من المباحات. عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال: أخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم حريرًا فجعله في يمينه، وأخذ ذهبًا فجعله في شماله، ثم رفع بهما يديه فقال، إن الله عز وجل أحل لإناث أمتي الحرير والذهب، وحرمه على ذكورها. (أبو داود والنسائي والترمذي وابن ماجه ومسند أحمد).

يقول النووي: "أجمع المسلمون على إباحة خاتم الذهب للنساء، وأجمعوا على تحريمه للرجال، إلا ما حكي عن ابن حزم أنه أباحه، وعن بعض أنه مكروه لا حرام، وهذان النقلان باطلان، فقائلهما محجوج بهذه الأحاديث" (انظر شرح النووي على مسلم ١٤/ ٦٥).

فلا يحتج هنا بالقاعدة أن الأصل في الأشياء الاباحة، وبالتالي يجوز الذهب والحرير للرجال. فالقاعدة لها قيد لا تصح الا به، وتكون بقيدها هكذا: الأصل في الأشياء الإباحة إلا ما حظره المشرع.

٩- أنه لم يكن من المعازف في زمن النبي صلى الله عليه وسلم إلا الدف فقط، وقد جوّزه صلى الله عليه وسلم. وهذا الكلام غير صحيح، وهو يبطل بإثبات وجود آلة أخرى من المعازف في زمن النبي صلى الله عليه وسلم وقد حرّمها، من هذه الآلات:

أ- الكوبة، كما بحديث ابن عباس رضي الله عنهما (حديث وفد عبد القيس)، وفيه -إن الله حرم عليكم الخمر والميسر والكوبة، وكل مسكر حرام (البخاري ومسلم وغيرهما).

قال سفيان: قلت لعلي بن بذيمة (وهو فارسي): ما الكوبة؟ قال: الطبل (أخرجه أبو داود وأحمد وصححه الألباني والأرناؤوط). وفي الموسوعة الفقهية: الكوبة: طبل طويل ضيق الوسط واسع الطرفين، ولا فرق بين أن يكون طرفاها مسدودين أو أحدهما، ولا بين أن يكون اتساعهما على حد واحد أو يكون أحدهما أوسع (الموسوعة الفقهية الكويتية: ١٧٣/٣٨). قال الخطابي: الكوبة تفسر بالطبل، ويقال بل هي النرد، ويدخل في معناه كل وتر، ومزهر، ونحو ذلك من الملاهي والغناء. (معالم السنن: ٢٦٧/٤).

ب- المزمار: عن نافع قال: سمع ابن عمر مزمارًا فوضع إصبعيه في أذنيه ونأى عن الطريق، وقال لي: يا نافع هل تسمع شيئًا؟ قال: فقلت: لا، فرفع إصبعيه من أذنيه، وقال: كنت مع النبي صلى الله عليه وسلم فسمع مثل هذا فصنع مثل هذا (أخرجه أبو داوود وأحمد وغيرهما وصححه الألباني وحسنه الأرناؤوط).

وفي الحديث: "صوتان ملعونان في الدنيا والآخرة: صوت مزمار عند نعمة، وصوت رنة عند مصيبة. (رواه البزار وغيره، وأكثر أهل العلم على ضعفه وحسنه بعضهم، وصححه الألباني في تحريم آلات الطرب وغيره).

ج- المزهر: آلة عزف تشبه العود أو غيره، كانت معروفة عند العرب، وقد ورد في حديث أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها (حديث أم زرع) وفيه: "وإذا سمعن صوت المزهر أيقن أنهن هوالك" (متفق عليه).

د- الطنبور: وهي آلة من آلات العزف تشبه العود، كانت معروفة عند العرب، ففي ترجمة المنهال بن عمرو أن شعبة يقول: أتيت منزل المنهال فسمعت منه صوت الطنبور، فرجعت ولم أسأله (انظر تهذيب التهذيب ١٠ / ٣٢٠).

هـ- الناي وهو معروف عند العرب تقول الخنساء:
ترجّع في أنبوب غابٍ مثقّب
(المخصص لابن سيده ٤/ ١٢). ولم أتقص كل آلات العزف التي كانت معروفة عند العرب قديمًا أو في زمن

النبي صلى الله عليه وسلم، ويكفي للرد على هذه الشبهة أن نذكر آلة واحدة فقط غير الدف؛ لأنهم حصروا كل آلات العزف التي كانت في زمن النبي صلى الله عليه وسلم في الدف فقط، لذا قالوا جوّزه النبي صلى الله عليه وسلم.

١٠- إن هذا ليس من التشريع (تحريم المعازف)، وإنما هذا إخبار عن المستقبل كعلامات الساعة. نعم هناك أحاديث ذكر فيها النبي صلى الله عليه وسلم بعض علامات الساعة، من تبدل الأحوال وغيرها، كقوله صلى الله عليه وسلم في حديث ابن عمر رضي الله عنهما: ..... وأن ترى الحفاة العراة رعاء الشاة يتطاولون في البنيان .....(متفق عليه). فهنا يبين النبي صلى الله عليه وسلم عن تغير الأحوال وتبدلها، كما يقول الإمام النووي: معناه: أن أهل البادية وأشباههم من أهل الحاجة والفاقة تبسط لهم الدنيا حتى يتباهون في البنيان (انظر شرح النووي على مسلم ١/١٥٩). فالتطاول في البنيان من علامات الساعة، لكن ذلك لا يستلزم منه الذم أو التحريم إن لم يترتب عليه الكبر والتفاخر والانشغال. يقول القرطبي: ومقصود هذا الحديث: الإخبار عن تبدل الحال وتغيره (انظر المفهم ١/ ١٤٩).

لكن في حديث المعازف، الأصل أن ما ورد في الحديث من الزنا وشرب الخمر ولبس الحرير للرجال، والمعازف، الأصل في المذكورات التحريم، بنص القرآن وحديث النبي صلى الله عليه وسلم، وإن حدث ذلك في آخر الزمان، وهذا يختلف عن المثال المذكور وهو التطاول في البنيان، فهذا أصله ليس حرامًا، لكن هو حرام لغيره إذا أضيف إليه الفخر والكبر، والخيلاء والإسراف في إنفاق المال فيما لا طائل منه.

١١- أن النبي صلى الله عليه وسلم مدح صوت أبي موسى الأشعري في قراءة القرآن، قائلاً له: "لقد أوتيت مزمارًا من مزامير آل داود". ولو كان المزمار حرامًا، لما شبّه به النبي صلى الله عليه وسلم تلاوة أبي موسى للقرآن. قال النووي: قال العلماء المراد بالمزمار هنا الصوت الحسن، وأصل الزمر الغناء، وكان داود صلى الله عليه وسلم حسن الصوت جدًا (انظر شرح النووي على مسلم ٦/٨٠). المزمار والمزمور: الصوت الحسن، وبه سميت آلة الزمر مزمارًا (انظر المفهم للقرطبي ٢/ ٤٢٣). وقال ابن تيمية: "وأما قوله صوت مزمار، فإن نفس صوت الإنسان يسمى مزمارًا، كما قيل لأبي موسى، لقد أوتي هذا مزمارًا من مزامير آل داود، وكذلك قال أبو بكر رضي الله عنه: "أبمزمور الشيطان في بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم" (الاستقامة: ١/ ٢٩٣).

وفي عون المعبود: "ومزامير داوود عليه السلام: ما كان يتغنى به من الزبور وضروب الدعاء" (انظر عون المعبود ١٣/ ١٨٩٠).

ويدل على هذا ما ورد من حديث البراء رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم: وسمع أبا موسى يقرأ، فقال: كأن هذا من أصوات آل داوود (خلق أفعال العباد للبخاري ١/ ٦٧، صحيح الجامع ٥١٢٢).

١٢- القول بأن فريقًا من السلف يميل إلى الاستماع كالحسن البصري، وفريقا لا يميل إليه كالشعبي. فهذا ليس بصواب، وليس الأمر باختيار إنما هو شرع. فقد أخرج ابن أبي الدنيا بسنده عن الحسن البصري حديث: "صوتان ملعونان: مزمار عند نعمة، ورنة عند مصيبة" (ابن أبي الدنيا، ذم الملاهي ح٦٣). وأما الشعبي فقد ورد عنه: أنه كره أجر المغنية، وكذلك ورد عنه: لعن المغني والمغنى له (ذم الملاهي ح ٤٦). وروى ابن نصر في قدر الصلاة بسند جيد عن الشعبي قال: إن الغناء ينبت النفاق في القلب كما ينبت الماء الزرع، وإن الذكر ينبت الإيمان في القلب كما ينبت الماء الزرع (تعظيم قدر الصلاة ح٦٩١، انظر تحريم آلات الطرب للألباني ص١٢، ١٣).

وللحديث بقية، والحمد لله رب العالمين.

مدخل إلى علم التفسير

الحلقة 6

خصائص التفسير النبوي

إعداد د. محمد عاطف التاجوري

إن الحمد لله؛ نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمدًا صلى الله عليه وسلم عبده ورسوله. أما بعد؛ فقد ذكرت في العدد الماضي من أنواع التفسير الوارد عن النبي صلى الله عليه وسلم في بيان معاني القرآن نوعين؛ وهما: التفسير النبوي النصي، والتفسير النبوي الموضوعي، وأكمل ما بدأته في هذه الأنواع فأقول:

٣) التفسير النبوي اللغوي:

وقد ظهر الاحتياج إلى هذا النوع من التفسير النبوي غالبًا بعد عصر الصحابة؛ لأنهم كانوا عربًا يتكلمون العربية بطبيعتهم، فهي لغتهم الأصلية، وقد نزل القرآن بها، فكانوا يفهمون تلك الألفاظ العربية، ولا يحتاجون إلى بيان معاني مفردات القرآن، وانما استفاد من هذا النوع من التفسير من جاء بعد تأثر اللغة العربية عند العرب، وضعف اللسان العربي، فلجأ العلماء إلى دواوين العرب النثرية والشعرية لفهم غريب القرآن ومعاني المفردات.

وقد أشار إلى أهمية معرفة غريب القرآن للمفسر كثير من العلماء في كتبهم، ففي كتاب البرهان في علوم القرآن للزركشي تحت عنوان معرفة غريبه قال: ويحتاج الكاشف عن ذلك إلى معرفة علم اللغة: اسمًا وفعلاً وحرفًا، فالحروف لقلتها تكلم النحاة على معانيها، فيؤخذ ذلك من كتبهم، وأما الأسماء والأفعال فيؤخذ ذلك من كتب اللغة، ومعرفة هذا الفن للمفسر ضروري، وإلا فلا يحل له الإقدام على كتاب الله تعالى. قال يحيى بن نضلة المديني: سمعت مالك بن أنس يقول: لا أوتى برجل يفسر كتاب الله غير عالم بلغة العرب إلا جعلته نكالاً.

وقال مجاهد: لا يحل لأحد يؤمن بالله واليوم الآخر أن يتكلم في كتاب الله إذا لم يكن عالما بلغات العرب، وروى عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: إذا سألتموني عن غريب اللغة فالتمسوه في الشعر فإن الشعر ديوان العرب. (البرهان في علوم القرآن- للزركشي- ج١، ص ٢٠٤، ٢٠٥).

ونقل السيوطي في كتابه الإتقان في علوم القرآن كلام الزركشي ثم قال: قلت: وأولى ما يرجع إليه في ذلك ما ثبت عن ابن عباس وأصحابه الآخذين عنه؛ فإنه ورد عنهم ما يستوعب تفسير غريب القرآن، بالأسانيد الثابتة الصحيحة. (الإتقان في علوم القرآن- للسيوطي- ج١، ص ٢٣٠).

ولا شك أن أفصح العرب هو رسول الله صلى الله عليه وسلم، فالعودة إلى أحاديثه التي ذكر فيها معاني المفردات في القرآن هو أول شيء لجأ إليه هؤلاء العلماء لمعرفة هذه المعاني.

ومن الأمثلة على تفسير رسول الله صلى الله عليه وسلم لمفردات القرآن:

١) روى مسلم عن جابر بن سمرة رضي الله عنه قال: خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: «مالي أراكم رافعي أيديكم كأنها

أذناب خيل شُمس؟ اسكنوا في الصلاة». قال: ثم خرج علينا رآنا حلقًا، فقال صلى الله عليه وسلم: «مالي أراكم عزين». قال: ثم خرج علينا فقال: «ألا تصفون كما تصف الملائكة عند ربها؟». فقلنا: يا رسول الله، وكيف تصف الملائكة عند ربها؟ قال: «يتمون الصفوف الأول، ويتراصون في الصف». (رواه مسلم في صحيحه برقم ٤٣٠).

فهذا الحديث يفيد في بيان معنى لفظة (عزين) الواردة في قوله تعالى: «فَمَالِ الَّذِينَ كَفَرُوا قِبَلَكَ مُهْطِعِينَ ﴿٣٦﴾ عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ عِزِينَ» (المعارج: ٣٦، ٣٧).

وقال النووي في الشرح: قوله صلى الله عليه وسلم: «مالي أراكم عزين» أي متفرقين جماعة جماعة وهو بتخفيف الزاي الواحدة (عزة) معناه النهي عن التفرق والأمر بالاجتماع. (صحيح مسلم بشرح النووي، ج٤، ص ١٥٥).

٢) عن عروة بن الزبير قال: إن فاطمة بنت أبي حبيش حدثته أنها سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم فشكت إليه الدمن فقال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إنما ذلك عرق فانظري إذا أتى قرؤك فلا تصلي فإذا تم قرؤك فتطهري ثم صلي ما بين القرء والقرء». (أخرجه أبو داود في سننه برقم (٢٧٧)، وكذلك ابن ماجه في سننه برقم (٦٢٠)، وقالا في التحقيق: صحيح).

وفي هذا الحديث بيان لمعنى لفظ القرء الذي جاء في قوله تعالى: «وَالْمُطَلَّقَاتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ ثَلَاثَةَ قُرُوءٍ» (البقرة: ٢٢٨)، وأن معناه: الحيض.

وقد اختلف السلف والخلف والأئمة في المراد بالأقراء ما هو؟ على قولين:

أحدهما: أن المراد به الأطهار، وقال مالك في الموطأ عن ابن شهاب عن عروة عن عائشة، أنها قالت: انتقلت حفصة بنت عبد الرحمن بن أبي بكر، حين دخلت في الدم من الحيضة الثالثة، قال الزهري، فذكرت ذلك لعمرة بنت عبد الرحمن، فقالت: صدق عروة، وقد جاء لها في ذلك ناس فقالوا: إن الله تعالى يقول في كتابه «ثلاثة قروء»، فقالت عائشة: صدقتم، وتدرون ما الأقراء؟ إنما الأقراء: الأطهار. (تفسير ابن كثير، تحقيق أحمد شاكر، ج١، ص ٢٤٧، وحديث عائشة في الموطأ برقم ١٢٠٦).

قال ابن كثير: وقال مالك عن نافع عن عبد الله بن عمر أنه كان يقول: إذا طلق الرجل امرأته فدخلت في الدم من الحيضة الثالثة فقد برئت منه وبرئ منها، وقال مالك: وهو الأمر عندنا، وروى مثله عن ابن عباس وزيد بن ثابت وسالم... وهو مذهب مالك والشافعي، وهو رواية عن أحمد. (تفسير ابن كثير، تحقيق أحمد شاكر، ج١، ص ٢٤٧، ٢٤٨، وحديث ابن عمر في الموطأ برقم ١٢١٠).

ثم يعرض ابن كثير الرأي الثاني في المراد بالأقراء، فيقول: والقول الثاني، أن المراد بالأقراء: الحيض، فلا تنقضي العدة حتى تطهر من الحيضة الثالثة، وزاد آخرون: وتغتسل منها وذكر أدلة أقواها، حديث الرسول صلى الله عليه وسلم: «إنما ذلك عرق فانظري إذا أتى قرؤك فلا تصلي فإذا مر قرؤك فتطهري ثم صلي ما بين القرء إلى القرء».

الذي ذكرناه وذكرنا أنه صحيح وهو أقوى دليل في هذا الخلاف مما يجعله راجحًا على غيره، قال ابن كثير: وهكذا روي عن أبي بكر الصديق وعمر وعثمان وعلي وأبي الدرداء وعبادة بن الصامت وأنس بن مالك، وابن مسعود ومعاذ وأبي بن كعب، وأبي موسى الأشعري وابن عباس.

وهذا مذهب أبي حنيفة وأصحابه وأصح الروايتين عن الإمام أحمد بن حنبل. (يراجع تفسير ابن كثير- تحقيق أحمد شاكر، ج ١، ص ٢٤٨).

المثال الثالث للتفسير النبوي اللغوي:

٣) عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «يدعى نوح يوم القيامة فيقول: لبيك وسعديك يا رب، فيقول: هل بلغت؟ فيقول: نعم، فيقال لأمته: هل بلغكم؟ فيقولون ما أتانا من نذير، فيقول: من يشهد لك؟ فيقول: محمد وأمته، فتشهدون أنه قد بلغ، ويكون الرسول عليكم شهيدًا، فذلك قوله جل ذكره: «وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا» (البقرة: ١٤٣)، والوسط: العدل». (رواه البخاري، في صحيحه برقم (٣٣٣٩)، وبرقم (٤٤٨٧)، وبرقم (٧٣٤٩).

وقال ابن حجر في فتح الباري: قوله: (والوسط: العدل)، هو مرفوع عن نفس الخبر، وليس بمدرج من قول بعض الرواة كما وهم فيه بعضهم. (فتح الباري، لابن حجر، ج٨، ص ٢٢):

المثال الرابع للتفسير النبوي اللغوي:

٤) عن عائشة رضي الله عنها عن النبي صلى الله عليه وسلم في قوله تعالى: «ذَٰلِكَ أَدْنَىٰ أَلَّا تَعُولُوا» (النساء: ٣)، قال: (أن لا تجوروا). (صححه الألباني في السلسلة الصحيحة، برقم ٣٢٢٢).

وصلى اللهم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليمًا كثيرًا وعلى من تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

صلاة الجمعة

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وبعد:
تكلمنا في اللقاء السابق عن سنن وآداب صلاة الجمعة، ونواصل في هذا اللقاء الحديث عن هذه السنن والآداب.

إعداد د. حمدي طه

سنن وآداب صلاة الجمعة:

سادسا: صلاة ركعتي تحية المسجد ولو كان الإمام يخطب:

اختلف الفقهاء بالنسبة لمن دخل المسجد والإمام يخطب: فذهب الحنفية والمالكية إلى أنه يجلس ويكره له أن يركع ركعتين، وإليه ذهب شريح، وابن سيرين والنخعي وقتادة والثوري والليث وحكاه القاضي عياض عن مالك والليث وأبي حنيفة وجمهور السلف من الصحابة والتابعين.

وذهب الشافعية والحنابلة إلى أنه يركع ركعتين يوجز فيهما، وبهذا قال الحسن وابن عيينة ومكحول وإسحاق وأبو ثور وابن المنذر وحكاه النووي عن فقهاء المحدثين.

واستدل المانعون بأدلة منها: قوله تعالى: « وَإِذَا قُرِئَ ٱلْقُرْءَانُ فَٱسْتَمِعُوا۟ لَهُۥ وَأَنصِتُوا۟ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ » (الأعراف: ٢٠٤)، وجه الدلالة أن الصلاة تفوت الاستماع والإنصات، فلا يجوز ترك الفرض لإقامة السنة. بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع للكاساني ٣٠٨/٢.

وأجيب عنه: أما في الآية فليست الخطبة قرآنًا وما فيها من القرآن الأمر بالإنصات حال قراءته عام مخصص بأحاديث الباب، وأيضًا فمصلي التحية يجوز أن يطلق عليه أنه منصت. فتح الباري لابن حجر ١٧٦/٦.

واحتجوا بقوله صلى الله عليه وآله وسلم: "إذا قلت لصاحبك أنصت والإمام يخطب فقد لغوت" متفق عليه. وجه الدلالة: أنه إذا امتنع الأمر بالمعروف وهو أمر اللاغي بالإنصات مع قصر زمنه؛ فمنع التشاغل بالتحية مع طول زمنها أولى؛ ولأن المحرَم مقدم على المبيح فوجب تركه. انظر تبيين الحقائق شرح كنز الدقائق للزيلعي، الذخيرة للقرافي ٣٤٦/٢.

وأجيب عنه: فهو وارد في المنع من المكالمة للغير ولا مكالمة في الصلاة ولو سلم أنه يتناول كل كلام حتى الكلام في الصلاة لكان عمومًا مخصصًا بأحاديث الباب، وأيضًا نحن لا نُسلَم أن الأمر أعلى من تحية المسجد، بل نقول العكس وهو ظاهر النص أي: إن التحية أعلى من الأمر بالمعروف في ذلك الوقت ولذلك أمر بها دون هذا (انظر نيل الأوطار - الشوكاني٣/٣١٤، الثمر المستطاب- الألباني ١/٦٢٤).

واحتجوا أيضًا بقوله صلى الله عليه وآله

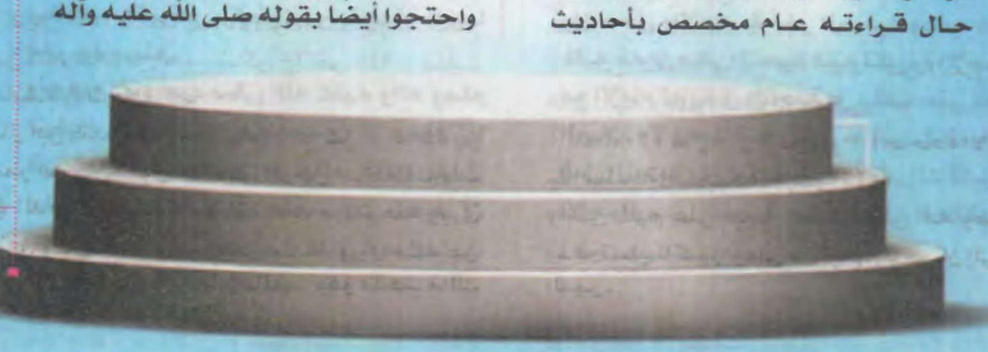

وسلم للذي دخل يتخطى رقاب الناس وهو يخطب: "قد آذيت"، وجه الدلالة: فأمره بالجلوس ولم يأمره بصلاة التحية. اللباب في الجمع بين السنة والكتاب للمَنْبَجي ٣٠٤/١.

وأجيب عنه: بأن أمره صلى الله عليه وآله وسلم لمن دخل يتخطى الرقاب بالجلوس فذلك واقعة عين ولا عموم لها فيحتمل أن يكون أمره بالجلوس قبل مشروعيتها أو أمره بالجلوس بشرطه، وهو فعل التحية، وقد عرفه قبل ذلك أو ترك أمره بالتحية لبيان الجواز أو لكون دخوله وقع في آخر الخطبة وقد ضاق الوقت عن التحية.

ويجاب عن ذلك كله بإمكان الجمع وهو مقدم على المعارضة المؤدية إلى إسقاط أحد الدليلين. واحتج المالكية بعمل أهل المدينة، قال الحافظ في الفتح: قال جماعة منهم القرطبي: أقوى ما اعتمده المالكية في هذه المسألة عمل أهل المدينة خلفًا عن سلف من لدن الصحابة إلى عهد مالك أن التنفل في حال الخطبة ممنوع مطلقًا. (فتح الباري ٤١١/٢).

وتعقب بمنع اتفاق أهل المدينة على ذلك؛ فقد ثبت فعل التحية عن أبي سعيد الخدري وهو من فقهاء الصحابة من أهل المدينة وحمله عنه أصحابه من أهل المدينة أيضًا ولم يثبت عن أحد من الصحابة صريحًا ما يخالف ذلك (تحفة الأحوذي- المباركفوري ٢٨/٣).

واحتج القائلون بالاستحباب بأدلة منها: عن جابر بن عبد الله قال: جاء سليك الغطفاني يوم الجمعة، ورسول الله صلى الله عليه وسلم يخطب، فجلس فقال له: يا سليك، قم فاركع ركعتين، وتجوز فيهما. ثم قال: إذا جاء أحدكم يوم الجمعة، والإمام يخطب فليركع ركعتين وليتجوز فيهما أخرجه مسلم.

وأجابوا عن أمره صلى الله عليه وآله وسلم لسليك بأن ذلك واقعة عين لا عموم لها فيحتمل اختصاصها بسليك، قالوا ويدل على ذلك ما وقع في حديث أبي سعيد أن الرجل كان في هيئة بذة فقال له: أصليت قال: لا قال: صل الركعتين وحض الناس على الصدقة، فأمره أن يصلي ليراه الناس وهو قائم فيتصدقون عليه.

ورد هذا الجواب بأن الأصل عدم الخصوصية والتعليل بكونه صلى الله عليه وآله وسلم قصد التصدق عليه لا يمنع القول بجواز التحية؛ فإن المانعين لا يجوزون الصلاة في هذا الوقت لعلة التصدق ولو ساغ هذا لساغ مثله في سائر الأوقات المكروهة ولا قائل به، كذا قال ابن المنير. (نيل الأوطار- الشوكاني).

ومما يرد هذا التأويل ما في الباب من قوله صلى الله عليه وآله وسلم: "إذا جاء أحدكم يوم الجمعة..." إلخ؛ فإن هذا نص لا يتطرق إليه التأويل. قال النووي: لا أظن عالمًا يبلغه هذا اللفظ صحيحًا فيخالفه. شرح مسلم للنووي ١٦٤/٦.

قال النووي: هذه الأحاديث كلها يعني التي رواها مسلم صريحة في الدلالة لمذهب الشافعي وأحمد وإسحاق وفقهاء المحدثين أنه إذا دخل الجامع يوم الجمعة والإمام يخطب يستحب له أن يصلي ركعتين تحية المسجد ويكره الجلوس قبل أن يصليهما. (شرح النووي على صحيح مسلم ١٦٤/٦).

بعد عرض أدلة الفريقين أرى أن القول الراجح في المسألة هو القول باستحباب صلاة ركعتين لمن دخل المسجد أثناء خطبة الجمعة.

قوله صلى الله عليه وسلم: (وليتجوز فيهما) فيه مشروعية التخفيف لتلك الصلاة ليتفرغ لسماع الخطبة، ولا خلاف في ذلك بين القائلين بأنها تشرع صلاة التحية حال الخطبة وقوله صلى الله عليه وسلم: (فليصل ركعتين) فيه أن داخل المسجد حال الخطبة يقتصر على ركعتين.

وإن دخل والامام في آخر الخطبة وغلب علي ظنه أنه إن صلى التحية فاته تكبيرة الإحرام مع الإمام لم يصل التحية بل يقف حتى تقام الصلاة ولا يقعد لئلا يكون جالسًا في المسجد قبل التحية وإن أمكنه الصلاة وأدراك تكبيرة الإحرام صلى التحية، هكذا فصّله المحققون. (المجموع للنووي).

سابعاً: التنفل قبل الجمعة وبعدها:

قال الحنفيّة والشّافعيّة: تسنّ الصّلاة قبل الجمعة وبعدها، فعند الحنفيّة: سنّة الجمعة القبليّة أربع، والسّنّة البعديّة أربع كذلك، وقال الشّافعيّة: أقلّ السّنّة ركعتان قبلها وركعتان بعدها، والأكمل أربع قبلها وأربع بعدها. قال النووي: وأما السنة قبلها فالعمدة فيها حديث عبد الله بن مغفل المذكور في الفرع قبله: "بين كل أذانين صلاة"، والقياس علي الظهر........وذكر أبو عيسى الترمذي أن عبد الله بن مسعود كان يصلي قبل الجمعة أربعًا وبعدها أربعًا، واليه ذهب سفيان الثوري وابن المبارك. المجموع ٤/١٠.

أما السّنّة البعديّة فاحتجوا بحديث أبي هريرة أنه عليه الصلاة والسلام قال: «من كان منكم مصليًا بعد الجمعة فليصل أربعًا» رواه مسلم. قال الزيلعي: والأربع بتسليمة واحدة عندنا حتى لو صلاها بتسليمتين لا يعتد بها عن السنة وقال الشافعي بتسليمتين (تبيين الحقائق شرح كنز الدقائق ١/١٧٢).

وقال المالكيّة والحنابلة: يصلّي قبلها دون التّقيّد بعدد معيّن.

قال شيخ الإسلام، وتلميذه ابن القيم وجمع: لا سنة للجمعة قبلها، وهو أصح قولي العلماء........ وعليه جماهير الأئمة، لأنها وان كانت ظهرًا مقصورة فتفارقها في أحكام. حاشية الروض المربع شرح زاد المستقنع عبد الرحمن بن قاسم النجدي ٢/٤٦٩. ولكن يستحب الإكثار من النفل المطلق، وذلك لحديث سلمان رضي الله عنه قال: قال النبي- صلى الله عليه وسلم-: "لا يغتسل رجل يوم الجمعة، ويتطهر بما استطاع من طهر، ويدّهن من دهنه أو يمس من طيب بيته، ثم يروح إلى المسجد ولا يفرق بين اثنين، ثم يصلي ما كتب له، ثم ينصت للإمام إذا تكلم إلا غفر له ما بين الجمعة إلى الجمعة الأخرى" (رواه البخاري) والشاهد فيه هو قوله: ثم يصلي ما كتب له.

وأما بعدها فقال الحنابلة: أقل السنة بعد الجمعة: ركعتان، وأكثرها ست ركعات..... وقيل: أكثرها أربع؛ هذا المذهب نص عليه، وعليه أكثر الأصحاب. (انظر الإنصاف للمرداوي).

وعند المالكية قال الإمام مالك: ينبغي للإمام إذا سلم من الجمعة أن يدخل منزله ولا يركع في المسجد لما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه كان ينصرف بعد الجمعة ولم يركع في المسجد، وإنما كان يركع الركعتين في بيته، قال مالك: ومن خلف الإمام أيضًا إذا سلموا فأحب إلي أن ينصرفوا ولا يركعوا في المسجد؛ فإن ركعوا فإن ذلك واسع. (انظر التمهيد لابن عبد البر).

فقد ثبت في الصحيحين من حديث ابن عمر رضي الله عنهما: أن النبي- صلى الله عليه وسلم- كان يصلي بعد الجمعة ركعتين في بيته. كما ثبت في صحيح مسلم وغيره عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "إذا صلى أحدكم الجمعة فليصل بعدها أربع ركعات"؛ قال شيخ الإسلام ابن تيمية جمعًا بين الأحاديث: "إن صلى في المسجد صلى أربعاً، وان صلى في بيته صلى ركعتين"، ووافقه ابن القيم قائلاً: "وعلى هذا تدل الأحاديث".

والأرجح في مسألة التنفل قبل الجمعة ما ذهب إليه المالكية والحنابلة أنه ليس لها سنة راتبة، وإنما هو نفل مطلق، قال أبو شامة في كتابه الماتع "الباعث على إنكار البدع والحوادث": "وما وقع من بعض الصحابة أنهم كانوا يصلون قبل الجمعة فمن باب التطوع، ولأنهم كانوا يبكّرون ويصلون حتى يخرج الإمام، وذلك جائز وليس بمنكر، وإنما المنكر اعتقاد العامة منهم، وبعض المتفقهة أن ذلك سنة للجمعة قبلها، كما يصلون السنة قبل الظهر، وكل ذلك بمعزل عن التحقيق، والجمعة لا سنة لها قبلها كالمغرب والعشاء.

وللحديث بقية إن شاء الله، والحمد لله رب العالمين.

فقه المرأة المسلمة

إعداد د/عزة محمد رشاد (أم تميم)

بسم الله، والحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله صلى الله عليه وسلم. أما بعد: فقد بدأنا بفضل الله تعالى في فقه الطلاق، فذكرنا تعريفه، ومشروعيته، وأقسامه، ونستكمل ما بدأناه سائلين الله عز وجل أن يتقبل جهد المقل وأن ينفع به المسلمين.

أولاً: إذا طلق الرجل زوجته وهي حائض، هل يجب عليه مراجعتها؟

اختلف العلماء في هذه المسألة على قولين:

القول الأول: ذهبت طائفة من الحنفية والشافعية والحنابلة إلى أن الرجعة مستحبة.

واستدلوا على ذلك بما يأتي:

١- أن الرجعة من طلاق في طهر قد مسَّها فيه لا تجب بإجماع أهل العلم، فكذلك الرجعة من طلاق الحائض.

٢- كما أن مراجعته لا ترتفع بها مفسدة طلاق الحائض: إذا لو أمضيناه فقد حصل الطلاق في الحيض فلا يرتفع بردها. انظر الشرح الممتع (٤٥١/٥).

القول الثاني: ذهب أبو حنيفة ومالك وأحمد في رواية إلى وجوب الرجعة على من طلق زوجته وهي حائض.

واستدلوا على ذلك بما يأتي:

حديث ابن عمر وفيه: «أَنَّهُ طَلَّقَ امْرَأَتَهُ وَهِيَ حَائِضٌ عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم فَسَأَلَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ عَنْ ذَلِكَ، فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: «مُرْهُ فَلْيُرَاجِعْهَا ثُمَّ لِيُمْسِكْهَا حَتَّى تَطْهُرَ، ثُمَّ تَحِيضَ ثُمَّ تَطْهُرَ، ثُمَّ إِنْ شَاءَ أَمْسَكَ بَعْدُ، وَإِنْ شَاءَ طَلَّقَ قَبْلَ أَنْ يَمَسَّ، فَتِلْكَ الْعِدَّةُ الَّتِي أَمَرَ اللَّهُ أَنْ تُطَلَّقَ لَهَا النِّسَاءُ» أخرجه البخاري (٥٢٥١)، ومسلم (١٤٧١).

وجه الدلالة:

قول رسول الله صلى الله عليه وسلم لعمر: «مُرْهُ فَلْيُرَاجِعْهَا» دال على وجوب الرجعة؛ لأن الأمر للوجوب.

أقوال أهل العلم:

جاء في فتح القدير (٤٦١/٣): ويُستحب له أن يراجعها لقوله صلى الله عليه وسلم لعمر: «مُرْ ابْنَك فَلْيُرَاجِعْهَا»، وقد طلقها في حالة الحيض، وهذا يفيد الوقوع والحث على الرجعة، ثم الاستحبابُ قولُ بعض المشايخ، والأصح أنه واجب، عملاً بحقيقة الأمر، ورفعًا للمعصية بالقدر الممكن لرفع أثره وهو العدة، ودفعًا لضرر تطويل العدة.

قال مالك في المدونة (٢/٦-٧): من طلق امرأته وهي نفساء أو حائض أجبر على رجعتها إلا أن تكون غير مدخول بها فلا بأس بطلاقها وإن كانت حائضًا أو نفساء.

جاء في روضة الطالبين (٦/٦): إذا طلق في الحيض طلاقًا محرمًا، استُحب له أن

يراجعها.

جاء في مطالب أولي النهى (٣٣٤/٧): وتُسن رجعتها من طلاق البدعة إن كان الطلاق رجعيًا؛ للخبر، وأقل أحوال الأمر الاستحباب؛ ليزيل المعنى الذي حرم الطلاق لأجله.

جاء في المغني (٦٩/٧): قال ابن قدامة: ولا يجب ذلك في ظاهر المذهب، وهو قول الثوري والأوزاعي والشافعي وابن أبي ليلى وأصحاب الرأي، وحكى ابن أبي موسى عن أحمد رواية أخرى أن الرجعة تجب واختارها... إلى أن قال: ولنا: أنه طلاق لا يرتفع بالرجعة، فلم تجب عليه الرجعة فيه، كالطلاق في طهر مسها فيه، فإنهم أجمعوا على أن الرجعة لا تجب، حكاه ابن عبد البر عن جميع العلماء، وما ذكروه من المعنى ينتقض بهذه الصورة، وأما الأمر بالرجعة فمحمول على الاستحباب؛ لما ذكرنا.

تعقيب وترجيح

ما ذهب إليه الإمام الشافعي وجمهور الحنابلة ومن وافقهم من استحباب الرجعة- إذا طلق طلاقًا بدعيًا- هو ما أرجحه؛ لقوة الأدلة على الاستحباب، ويقوي ذلك عندي أن المراجعة لو كانت واجبة وأراد الزوج أن يطلق زوجته لكان الضرر أكبر لوقوع تطليقتين بدلاً من واحدة، والله أعلى وأعلم.

ثانيا: الطلاق الذي ليس فيه سنة ولا بدعة:

قال الماوردي في الحاوي الكبير (١١٥/١٠): وأما التي لا سنة في طلاقها ولا بدعة فخمس: الصغيرة، والمويسة، والحامل، وغير المدخول بها، والمختلعة. أما الصغيرة والمويسة: فلاعتدادهما بالشهور التي لا تختلف بحيض ولا طهر.

وأما الحامل: فلاعتدادها بوضع الحمل الذي لا يؤثر فيه حيض ولا طهر.

وأما غير المدخول بها: فلأنه لا عدة عليها فيؤثر فيها حيض أو طهر.

وأما المختلعة: فلأن خوفها من أن ألا يقيما حدود الله يقتضي تعجيل الطلاق من غير اعتبار سنة ولا بدعة.

وإذا انقسم الطلاق على هذه الأقسام الثلاثة، فقسمان منهما يجمع على وقوع الطلاق فيهما:

أحدهما: طلاق السنة: مجمع على وقوعه.

والثاني: ما لا سنة فيه ولا بدعة: مجمع على وقوعه.

والثالث: مختلف فيه وهو طلاق البدعة... فهو محظور محرم بوفاق، واختلف في وقوعه مع تحريمه.

ثالثا: عدد التطليقات:

للزوج علي الزوجة المدخول بها ثلاث طلقات قال تعالى: «الطلاق مرتان فإمساك بمعروف أو تسريح بإحسان» إلى قوله سبحانه وتعالى: « فَإِن طَلَّقَهَا فَلَا تَحِلُّ لَهُ مِنۢ بَعْدُ حَتَّىٰ تَنكِحَ زَوْجًا غَيْرَهُ » (البقرة: ٢٢٩-٢٣٠).

رابعا: من قال لامرأته أنت طالق ثلاثا، هل تقع الثلاث أم واحدة؟

بين أهل العلم نزاع في هذه المسألة:

القول الأول: ذهب جمهور العلماء- منهم الأئمة الأربعة- إلى أن من قال لامرأته أنت طالق ثلاثًا، تقع الثلاث.

واستدلوا على ذلك بما يأتي:

قوله تعالى: «وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ ٱللَّهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُۥ لَا تَدْرِى لَعَلَّ ٱللَّهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَٰلِكَ أَمْرًا » (الطلاق: ١)؛ قالوا: معناه أنَّ المطلَق قد يحدث له ندم فلا يمكنه تداركه لوقوع البينونة، فلو كانت الثلاث لا تقع لم يقع طلاقه هذا إلا رجعيًا فلا يندم.

حديث ركانة أنّه طلق امرأته البتّة فقال له النبيَ صلى الله عليه وسلم: «الله ما أردت إلا واحدة؟» قال: الله ما أردت إلا واحدة.

وجه الدلالة: دل الحديث على ان طلاق الثلاث يقع ثلاثًا؛ لأنه لو أراد الثلاث لوقعن، وإلا فلم يكن لتحليفه معنًى. مسلم بشرح النووي (٣٢١/٥).

القول الثاني: ذهب شيخ الإسلام وابن القيم

وغيرهما إلى أن الطلاق ثلاثًا في جلسة يقع واحدة.

واستدلوا على ذلك بما يأتي:

قوله تعالى: «يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِذَا طَلَّقۡتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ» إلى قوله: «فَإِذَا بَلَغۡنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمۡسِكُوهُنَّ بِمَعۡرُوفٍ أَوۡ فَارِقُوهُنَّ بِمَعۡرُوفٖ» (الطلاق: ١-٢).

وجه الدلالة:

دلت الآية على أنَّ الله تعالى إنما شرع الطلاق مرة بعد مرة، ولم يشرعه كله مرة واحدة، فمن جمع الثلاث في مرة واحدة فقد تعدى حدود الله. زاد المعاد (٢١٦/٥).

عن ابن طاوس عن أبيه عن ابن عباس: قال: «كَانَ الطَّلَاقُ عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم وَأَبِي بَكْرٍ وَسَنَتَيْنِ مِنْ خِلَافَةِ عُمَرَ، طَلَاقُ الثَّلَاثِ وَاحِدَةً، فَقَالَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ: إِنَّ النَّاسَ قَدِ اسْتَعْجَلُوا فِي أَمْرٍ قَدْ كَانَتْ لَهُمْ فِيهِ أَنَاةٌ، فَلَوْ أَمْضَيْنَاهُ عَلَيْهِمْ، فَأَمْضَاهُ عَلَيْهِمْ» -أخرجه مسلم (١٤٧٢)، ومسند أبي عوانة (٤٥٣٤)، وسنن أبي داود (٢٢٠٠)، والنسائي (٣٤٠٦) وغيرهم.

وجه الدلالة:

دل الحديث على أن طلاق الثلاث في جلسة واحدة يقع واحدًا، وإنما جعله عمر ثلاثًا اجتهادًا منه وسياسة لما تتابع الناس في الطلاق فأجازه عليهم- فتح الباري لابن حجر (٣٦٣/٩).

أقوال أهل العلم في المسألة:

أولاً: القائلون بأن الطلاق بلفظ الثلاث يقع ثلاثًا:

قال ابن الهمام في فتح القدير (٤٤٩/٣): وطلاق البدعة أن يطلقها ثلاثًا بكلمة واحدة أو ثلاثًا في طهر واحد، فإذا فعل ذلك وقع الطلاق وكان عاصيًا.

جاء في الفواكه الدواني على رسالة ابن أبي زيد القيرواني (١٧٤/٥): ومن طلق امرأته ثلاثًا لم تحل له بملك ولا نكاح حتى تنكح زوجًا غيره، وطلاق الثلاث في كلمة واحدة بدعة ويلزم إن وقع.

جاء في الحاوي الكبير (٣٢٦/١٠): قال الماوردي: كل زوج وقع طلاقه على كل زوجة من صغيرة أو كبيرة، عاقلة أو مجنونة إذا استكمل طلاقها ثلاثًا مجتمعة أو متفرقة، قبل الدخول أو بعده فهي محرمة عليه حتى تنكح زوجًا غيره.

جاء في روضة الطالبين (٧٠/٦): فإذا قال: طلقتك، أو: أنت طالق، ونوى طلقتين أو ثلاثًا، وقع ما نوى، وكذا حكم الكناية. قلت: وسواء في هذا المدخول بها وغيرها، والله أعلم.

قال ابن قدامة في المغني (٧١/٧): وإن طلقها ثلاثًا بكلمة واحدة وقع الثلاث وحرمت عليه حتى تنكح زوجًا غيره، ولا فرق بين قبل الدخول وبعده... قال الأثرم: سألت أبا عبد الله عن حديث ابن عباس: بأي شيء تدفعه؟ فقال: أدفعه برواية الناس عن ابن عباس من وجوه خلافه، ثم ذكر عن عدة، عن ابن عباس من وجوه: أنها ثلاث.

ثانيًا: المانعون من وقوع الطلقات الثلاث بلفظ واحد:

جاء في إعلام الموقعين (٢٧/٣-٣٠) باختصار: بعد أن ساق حديثي ابن عباس وركانة- قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قال: «سُبْحَانَ اللَّهِ وَبِحَمْدِهِ مِائَةَ مَرَّةٍ حُطَّتْ عَنْهُ خَطَايَاهُ...» الحديث، ولم يحصل له هذا الثواب حتى يقولها مرة بعد مرة، وكذلك قوله: «مَنْ سَبَّحَ دُبُرَ كُلِّ صَلَاةٍ ثَلَاثًا وَثَلَاثِينَ وَحَمِدَهُ ثَلَاثًا وَثَلَاثِينَ...» لا يكون عاملاً به حتى يقول ذلك مرة بعد مرة ولا يجمع الكل بلفظ واحد.. كقوله تعالى: «سَنُعَذِّبُهُم مَّرَّتَيۡنِ» (التوبة: ١٠١) إنما هو مرة بعد مرة... إلى أن قال: فهذا المعقول من اللغة والعرف في الأحاديث المذكورة وهذه النصوص المذكورة تفسر المراد من قوله: «الطَّلَاقُ مَرَّتَانِ» كلها من باب واحد ومشكاة واحدة.

فهذا كتاب الله، وهذه سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم، وهذه لغة العرب، وهذا عرف التخاطب، وهذا خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم والصحابة كلهم معه في عصره، وثلاث سنين من عصر عمر على هذا المذهب، فلو عدهم العادُّ بأسمائهم واحدًا واحدًا لوجد أنهم كانوا يرون الثلاث واحدة،

إما بفتوى وإما بإقرار عليها.

وفي (ص ٢٩) قال: والمقصود: أن هذا القول قد دل عليه الكتاب والسنة والقياس والإجماع القديم، ولم يأت بعده إجماع يبطله، ولكن رأى أمير المؤمنين عمر رضي الله عنه أن الناس قد استهانوا بأمر الطلاق وكثر منهم إيقاعه جملة واحدة، فرأى من المصلحة عقوبتهم بإمضائه عليهم؛ ليعلموا أن أحدهم إذا أوقعه جملة بانت منه المرأة وحرمت عليه حتى تنكح زوجًا غيره نكاح رغبة يراد للدوام لا نكاح تحليل، فإنه كان من أشد الناس فيه، فإذا علموا ذلك كفوا عن الطلاق المحرم، فرأى عمر أن هذا مصلحة لهم في زمانه ورأى أن ما كانوا عليه في عهد النبي صلى الله عليه وسلم وعهد الصديق وصدرٍ من خلافته كان الأليق بهم، لأنهم لم يتلاعبوا فيه، وكانوا يتقون الله في الطلاق، وقد جعل الله لكل من اتقاه مخرجًا، فلما تركوا تقوى الله وتلاعبوا بكتاب الله وطلقوا على غير ما شرعه الله ألزمهم بما التزموه عقوبة لهم، فإن الله تعالى إنما شرع الطلاق مرة بعد مرة ولم يشرعه كله مرة واحدة، فمن جمع الثلاث في مرة واحدة فقد تعدى حدود الله وظلم نفسه ولعب بكتاب الله فهو حقيق أن يعاقب ويلزمه بما التزمه، ولا يُقر على رخصة الله وسعته وقد صعبها على نفسه... وعلم الصحابة حسن سياسة عمر وتأديبه لرعيته في ذلك فوافقوه على ما ألزم به، وصرحوا لمن استفتاهم بذلك.

وفي زاد المعاد (٢١٦/٥): قال ابن القيم: ومما يدل على أن الله لم يشرع الثلاث جملة، أنه قال تعالى: «والمُطلَّقاتُ يتَربَّصنَ بأنفُسهنَّ ثلاثَةَ قُروءٍ» إلى أن قال: «وَبُعُولَتُهُنَّ أَحَقُّ بِرَدِّهِنَّ فِي ذَلِكَ إِنْ أَرَادُوا إِصْلَاحًا» (البقرة: ٢٢٨).

فهذا يدل على أن كل طلاق بعد الدخول، فالمطلق أحق فيه بالرجعة سوى الثالثة المذكورة بعد هذا، وكذلك قوله تعالى: «يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ» إلى قوله: «فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ فَارِقُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ» (الطلاق: ١-٢)، فهذا هو الطلاق المشروع، وقد ذكر الله سبحانه وتعالى أقسام الطلاق كلها في القرآن وذكر أحكامها؛ فذكر الطلاق قبل الدخول وأنه لا عدة فيه، وذكر الطلقة الثالثة وأنها تحرم الزوجة على المطلق حتى تنكح زوجًا غيره، وذكر طلاق الفداء الذي هو الخلع وسماه فدية ولم يحسبه من الثلاث كما تقدم، وذكر الطلاق الرجعي الذي يحقَ للمطلق فيه الرجعة وهو ما عدا هذه الأقسام الثلاثة.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية في مجموع الفتاوى (١٣/٣٣): ولا نعرف أن أحدًا طلق على عهد النبي صلى الله عليه وسلم امرأته ثلاثًا بكلمة واحدة فألزمه النبي صلى الله عليه وسلم بالثلاث، ولا روي في ذلك حديث صحيح ولا حسن ولا نقل أهل الكتب المعتمد عليها في ذلك شيئًا، بل رويت في ذلك أحاديث كلها ضعيفة باتفاق علماء الحديث بل موضوعة، بل الذي في صحيح مسلم وغيره من السنن والمسانيد عن طاوس عن ابن عباس أنه قال... وساق حديث الباب كما تقدم.

قال ابن رشد في بداية المجتهد (٧٤/٢): بعد أن ذكر أقوال أهل العلم في ذلك: وكأن الجمهور غلبوا حكم التغليظ في الطلاق سدًا للذريعة، ولكن تبطل بذلك الرخصة الشرعية والرفق المقصود في ذلك، أعني في قوله تعالى: «لعلَّ الله يُحدثُ بَعدَ ذَلكَ أمْرًا» (الطلاق: ١).

تعقيب وترجيح:

والذي تطمئن إليه النفس، وينشرح له الصدر- ما ذهب إليه شيخ الإسلام ابن تيمية وابن القيم ومن وافقهما من أن التطليقات الثلاث بلفظ واحد تقع واحدة، ودليل ذلك صريح في حديث ابن عباس الصحيح الذي أخرجه مسلم كما تقدم، والله تعالى أعلم.

احترام شعور الآخرين من أعظم مكارم الأخلاق

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله... وبعدُ:

فإن ديننا الحنيف تأسّس بعد توحيد الله عز وجل على مكارم الأخلاق، التي أعلى شأنها الإسلام فجعلها هدفًا بُعث من أجله النبي محمد صلى الله عليه وسلم. فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " إِنَّمَا بُعِثْتُ لأُتَمِّمَ صَالِحَ الأَخْلَاقِ ". مسند أحمد وصححه الألباني في صحيح الجامع ٢٣٤٩.

إعداد د. جمال عبد الرحمن

وقـد ظهر في كثير من شـوارع الناس وطرقاتهم، وأماكن عملهم وأماكن ترفيههم، وكذلك في مناسباتهم السارة أو غير السارة، ما يدل على أن منظومة الأخلاق بدأت في الانهيار، ولم يعد لها في السلوك اعتبار، وهذا نذير شديد بخراب الديار. وكما قال الشاعر أحمد شوقي رحمه الله:

وإنما الأمم الأخلاق ما بقيت
فإن هُمُو ذهبت أخلاقهم ذهبوا

منازل أصحاب الأخلاق الكريمة

عَنْ أَبِي مَالِكٍ الأَشْعَرِيِّ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّ فِي الجَنَّةِ غُرَفًا يُرَى ظَاهِرُهَا مِنْ بَاطِنِهَا وَبَاطِنُهَا مِنْ ظَاهِرِهَا أَعَدَّهَا اللهُ لِمَنْ أَلَانَ الكَلَامَ وَأَطْعَمَ الطَّعَامَ وَتَابَعَ الصِّيَامَ وَصَلَّى بِاللَّيْلِ وَالنَّاسُ نيام». رَوَاهُ البَيْهَقِيّ في شعب الإيمان وصححه الألباني في صحيح الجامع ٢١٢٣.

وعن أبي أمامة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " أنا زعيمٌ ببيت في رَبَض الجنة لمَن تَـرَكَ المـراءَ وإن كان مُحقًّا، وببيت في وسط الجنة لمن ترك الكذبَ وإن كان مازحًا، وببيت في أعلى الجنة لمَن حَسُنَ خُلُقه. صحيح أبي داود ٤٨٠٠.

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " تَدْرُونَ ما أَكْثَرُ مَا يُدْخِلُ النَّارَ؟ ". قَالُوا: الله وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ. قَالَ: "الأجوفان: الفرج والفم، وما أكثر ما يُدْخِل الجَنَّة؟ تَقْوَى الله وحسن الخلق". (صحيح الأدب المفرد ص: ١٢٣).

وَعَنْ حَارِثَةَ بْنِ وَهْبٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَلا أُخْبِرُكُمْ بِأَهْلِ الجَنَّةِ؟ كُلُّ ضَعِيفٍ مُتَضَعَّفٍ (وهُوَ الخاضع المذل نفسه لله تعالى، الَّذي يَتَضَعَّفُهُ النَّاسُ ويَتَجَبَّرون عَلَيْه في الدُّنيا للفقر ورَثَاثة الحال) لَوْ أَقْسَمَ عَلَى اللهِ لأَبَرَّهُ. ألا أُخْبِرُكُمْ بِأَهْلِ النَّارِ؟ كُلُّ عُتُلٍّ (سريع إلى الشر) جَوَّاظٍ (الفاجر) مُسْتَكْبِرٍ». مُتَّفق

عليه. وفي رواية مسلم: «كل جواظ زنيم (له خلق سوء يعرف به) متكبر».

ومن عافاه الله تعالى من سوء الأخلاق فقد أوتي خيرًا كثيرًا، وكانت العافية أعظم منحة له.

- عنْ أوسط بْن عمْرو البجليّ وهُو على منْبر حمْص يقُول: سمعْتُ أبا بكْر الصّدّيق بعْد وفاة رسُول الله صلى الله عليه وسلم بسنة وهُو على منْبر رسُول الله صلى الله عليه وسلم يقُول: سمعْتُ رسُول الله صلى الله عليه وسلم: ثُمّ خنقتْهُ العبْرةُ ثُمّ عاد فخنقتْهُ العبْرةُ ثُمّ قال: سمعْتُ رسُول الله صلى الله عليه وسلم يقُولُ عام الأوّل: «سلُوا الله العفْو والعافية فإنّهُ ما أُوتي عبْدٌ بعْد يقين شيْئًا خيْرًا من العافية». (مسند الحميدي ١/١٤٩).

- وعنْه رضي الله عنه قال: قدمْتُ المدينة بعْد وفاة رسُول الله صلى الله عليه وسلم بسنة، فألْفيْتُ أبا بكْر رضي الله عنه يخْطُبُ النّاس وهُو على منْبر رسُول الله صلى الله عليه وسلم، فقال: قام فينا رسُولُ الله صلى الله عليه وسلم عام الأوّل، فخنقتْهُ العبْرةُ ثلاث مرار، ثُمّ قال: "يا أيُّها النّاسُ، سلُوا الله المُعافاة والعافية، فإنّهُ لمْ يُؤْت أحدٌ مثْل يقين بعْد مُعافاة، ولا أشدّ منْ ريبة بعْد كُفْر، وعليْكُمْ بالصّدْق، فإنّهُ يهْدي إلى البرّ، وهُما في الجنّة، وإيّاكُمْ والكذب، فإنّهُ يهْدي إلى الفُجُور، وهُما في النّار". (مسند أحمد ح٤٤). وإسناده حسن.

ومن العافية

١- البعد عن أذى المسلمين

قال الله سبحانه وتعالى: "وَٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ بِغَيْرِ مَا ٱكْتَسَبُوا۟ فَقَدِ ٱحْتَمَلُوا۟ بُهْتَٰنًا وَإِثْمًا مُّبِينًا". (الأحزاب: ٥٨).

- عنْ ابْن عُمر رضي الله عنه قال: صعد رسُولُ الله صلى الله عليه وسلم المنْبر فنادى بصوْت رفيع، فقال: «يا معْشر منْ أسْلم بلسانه ولمْ يُفْض الإيمانُ إلى قلْبه، لا تُؤْذُوا المُسْلمين ولا تُعيّرُوهُمْ ولا تتّبعُوا عوْراتهمْ، فإنّهُ منْ تتبّع عوْرة أخيه المُسْلم تتبّع الله عوْرتهُ، ومنْ تتبّع الله عوْرتهُ يفْضحْهُ ولوْ في جوْف رحْله» قال: ونظر ابْنُ عُمر يوْمًا إلى البيْت أوْ إلى الكعْبة فقال: «ما أعْظمك وأعْظم حُرْمتك، والمُؤْمنُ أعْظمُ حُرْمةً عنْد الله منْك». (سنن الترمذي ح٢٠٣٢).

٢- المحافظة على شعور إخوانك

- عنْ عبْد الله رضي الله عنه، قال: قال رسُولُ الله صلى الله عليه وسلم: «إذا كُنْتُمْ ثلاثةً فلا يتناجى اثْنان دُون الآخر، حتّى تخْتلطُوا بالنّاس منْ أجْل أنْ يُحْزنهُ». (صحيح مسلم ح٦٢٩٠).

٣- الذوق في معاملة الزوجة والآخرين

عنْ عبْد الله بْن زمْعة رضي الله عنه قال: قال رسُولُ الله صلى الله عليه وسلم: «لا يجْلدُ أحدُكُمْ امْرأتهُ جلْد العبْد ثُمّ يُجامعُها في آخر اليوْم». وفي رواية: «يعْمدُ أحدُكُمْ فيجْلدُ امْرأتهُ جلْد العبْد فلعلّهُ يُضاجعُها في آخر يوْمه». ثُمّ وعظهُمْ في ضحكهمْ من الضّرْطة، فقال: «لم يضْحكُ أحدُكُمْ ممّا يفعل؟». متفق عليه.

- وعنْهُ رضي الله عنه قال: نهى النّبيُّ صلى الله عليه وسلم أنْ يضْحك الرّجُل ممّا يخْرُجُ من الأنْفس، وقال: «بم يضْربُ أحدُكُمْ امْرأتهُ ضرْب الفحْل، أو العبْد، ثُمّ لعلّهُ يُعانقُها». (صحيح البخاري ح٦٠٤٢).

٤- الذوق في مراعاة شعور النائمين

- عن المقداد رضي الله عنه قال: "فيجيءُ النبي صلى الله عليه وسلم من اللّيْل فيُسلّمُ تسْليمًا لا يُوقظُ نائمًا، ويُسْمعُ اليقْظان، قال: ثُمّ يأْتي المسْجد فيُصلّي". (صحيح مسلم ح١٧٤).

فما الذي يفعله كثير من المسلمين في زواج أولادهم من سهر وغناء فظيع، وأصوات عالية جدًا ومزعجة ومنكرة، تخرق الجدران، لا يبالون بنائم ولا بمريض ولا بميت، ولا بأصحاب الدروس والمذاكرة، يؤذونهم بالأصوات التي تزعج

النائم واليقظان، وكذلك أصحاب البيوت التي تشاهد الأفلام وتسمع الأغاني، ليل نهار، مع رفع أصواتها ولا تراعي حق مسلم أو جار.

٥- الذوق العام في طريق المسلمين

- عَنْ أبِـي هُـرَيْـرَة رضي الله عنه أَنَّ رَسُول الله صلى الله عليه وسلم قَالَ: «اتَّقُوا اللاَّعنَيْن»، قَالُوا: وَمَا اللاعنَان يَا رَسُول الله؟ قَالَ: «الَّذي يَتَخَلَّى فِي طَرِيق النَّاس أَوْ ظلِّهِمْ». (سنن أبي داود ح٢٥).

- عَنْ أبِـي سَعِيد الخُـدْرِيِّ رضي الله عنه: أَنَّ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم قَالَ: «إيَّاكُمْ وَالجلوسَ بِالطُّرُقَات»، فَقَالُوا: يَا رَسُولَ الله، مَا لَنَا مِنْ مَجَالسنَا بُدٌّ نَتَحَدَّثُ فيهَا، فَقَالَ: «إذْ أَبَيْتُمْ إلاَّ المَجْلسَ، فَأَعْطُوا الطَّرِيقَ حَقَّهُ»، قَالُوا: وَمَا حَقُّ الطَّرِيق يَا رَسُولَ الله؟ قَالَ: «غَضُّ البَصَر، وَكَفُّ الأَذَى، وَرَدُّ السَّلاَم، وَالأَمْرُ بالمَعْرُوف، وَالنَّهْيُ عَن المُنْكَر». (صحيح البخاري ح٦٢٢٩).

فما الذي يفعله الذين يبصقون في الطرق، ويلقون فيها الأذى والقاذورات، فأين الأدب والذوق؟.

٦- الذوق في عدم رفع الصوت بالقرآن بالمساجد لئلا يشوش على الناس

- عَنْ رَجُل منْ بَني بَيَاضَةَ " أَنَّ رَسُولَ الله صلى الله عليه وسلم اعْتَكَفَ العَشْرَ منْ رَمَضَانَ، وَقَالَ: إنَّ أَحَدَكُمْ إذَا كَانَ فِي الصَّلاَة، فَإنَّمَا يُنَاجِي رَبَّهُ فَلاَ تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ بِالقُرْآن " قَالَ: يَعْني شُعْبَةَ فَأَقُولُ: فِي الصَّلاَة، فَيَقُولُ: فِي الصَّلاَة فَتُؤْذُوا المُؤْمنينَ، أَوْ قَالَ: المُسْلمينَ. وَهَذَا لَفْظُ حَديث أَبِي دَاوُدَ. (مسند ابن الجعد ص: ٢٣٩).

قَوْلُهُ (إنَّ عُمَرَ رَضِيَ اللهُ عنه زَجَرَ الرِّجَالَ الَّذِينَ رَفَعُوا أَصْوَاتَهُمْ يَوْمَ الجُمُعَة عنْدَ المِنْبَر) فيه كَرَاهَةُ رَفْع الصَّوْت فِي المساجد يوم الجمعة وغيره وأنه لا يرفع الصوت بعلم ولا غيره عنْدَ اجْتمَاع النَّاس للصَّلاَة لما فيه منَ التَّشْوِيش عَلَيْهِمْ وَعَلَى المُصَلِّينَ وَالذَّاكرِينَ وَاللهُ أَعْلَمُ. (شرح النووي على مسلم ٢٥/١٣).

٦- مراعاة شعور الأحياء بعدم سب الأموات

- عَنْ أَبَانَ بْن عُثْمَانَ، وَغَيْره، قَالَ: لَمَّا تَوَجَّهَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم إلَى الطَّائف رَأَى عَلَى العَقَبَة قَبْرًا فَقَالَ: " يَا أَبَا بَكْر، مَا هَذَا القَبْرُ؟ " فَقَالَ: هَذَا قَبْرُ أَبِي أُحَيْحَة لَعَنَهُ اللهُ؛ فَإنَّهُ كَانَ شَديدَ التَّكْذيب بآيَات الله تَعَالَى، شَديدَ الرَّدِّ عَلَى رَسُول الله صلى الله عليه وسلم، فَقَالَ أَبَانُ بْنُ سَعيد: بَلْ لَعَنَ اللهُ أَبَا قُحَافَةَ؛ إنَّهُ كَانَ لاَ يَدْفَعُ الضَّيْمَ، وَلاَ يُقْري الضَّيْفَ، فَقَالَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم: "لاَ تُؤْذُوا الأَحْيَاءَ بسَبِّ الأَمْوَات". (أخبار مكة للفاكهي ١٢٣/٣).

وعَنْ سَعيد بْن زَيْد، قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله صلى الله عليه وسلم: «لاَ تُؤْذُوا مُسْلمًا بشَتْم كَافر» هَذَا حَديثٌ صَحيحُ الإسْنَاد، وَلَمْ يُخَرِّجَاهُ. (المستدرك على الصحيحين للحاكم ٥٤٢/١).

وفي قصة إسلام عكرمة بن أبي جهل أن زوجته وكانت أسلمت وطلبت أمانا لعكرمة زوجها وقد هرب إلى اليمن فأمَّنه النبي صلى الله عليه وسلم. فخرجت إليه حتى قدم. فلما دنا من مكة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يأتيكم عكرمة بن أبي جهل مؤمنًا مهاجرًا، فلا تسبوا أباه، فإنَّ سبَّ الميت يؤذي الحيَّ ولا يبلغ الميت! فلما رآه وثب إليه فرحًا، فوقف- ومعه امرأته منتقبة- فقال: يا محمد، إنَّ هذه أخبرتني أنك أمَّنتني! فقال: صدقتْ، فأنت آمن! فأسلم. إمتاع الأسماع للمقريزي. (٣٩٨/١).

إن الأخلاق الكريمة سبب لإسلام الناس قبل أن تكون سببًا عظيمًا لأعلى الدرجات في الجنة.

نسأل الله أن يهدينا لأحسن الأخلاق والأعمال، والحمد لله رب العالمين

قصة نبوءة النبي عن السيارات

إعداد الشيخ علي حشيش

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وبعد:

فنواصل في هذا التحذير تقديم البحوث العلمية الحديثية للقارئ الكريم حتى يقف على حقيقة هذه القصة الواهية التي اشتهرت على ألسنة القصاص والوعاظ وإلى القارئ الكريم التخريج والتحقيق:

أولا: أسباب ذكر هذه القصة:

١) وجود هذه القصة في بعض كتب السنة الأصلية -كما سنبين من التخريج- يجعل من لا دراية له بالتحقيق وعلل الحديث يتوهم أن هذه القصة صحيحة.

٢) لا نزال نواصل تحقيق الغاية من هذه السلسلة «تحذير الداعية من القصص الواهية» لتعم الفائدة.

أ) فالقارئ الكريم: يقف على درجة القصة.

ب) والداعية: يكون على حذر، ويسلم له عمله على السُّنة وحدها.

ج) وطالب هذا الفن: يجد نماذج من علم الحديث التطبيقي.

٣) من أجل ذلك سنطبق من خلال تخريج وتحقيق هذه القصة: هذه القاعدة وهي: «قولهم: «رجاله ثقات»، أو «رجاله رجال الصحيح» أو «رجاله رجال الشيخين» ليس تصحيحًا للحديث».

٤) ولأهمية هذه القاعدة نبَّه عليها الشيخ الألباني رحمه الله في مقدمة كتابه «صحيح الترغيب والترهيب»

٥) وأورد هذه القاعدة في كتابه «تمام المنة في التعليق على فقه السنة»، ص (٢٦)، وقال: «فقول بعض المحدثين في حديث ما «رجاله رجال الصحيح» أو «رجاله ثقات»، أو نحو ذلك لا يساوي قوله «إسناده صحيح»، فإن هذا يثبت وجود جميع شروط الصحة بخلاف الأول فإنه لا يثبتها وإنما يثبت شرطًا واحدًا فقط وهو العدالة والضبط». اهـ.

٦) ولقد أورد الشيخ الألباني رحمه الله حديث قصة «نبوءة النبي صلى الله عليه وسلم عن السيارات» في «سلسلة الأحاديث الصحيحة»، ح (٩٣)، بين حديث سعيد بن أبي هند عن أبي هريرة مرفوعًا في متن «تكون إبل للشياطين وبيوت للشياطين».

ثم قال: «والظاهر أنه عليه الصلاة والسلام عنى بـ«بيوت الشياطين» هذه السيارات الفخمة التي يركبها بعض الناس مفاخرة ومباهاة، وإذا مروا ببعض المحتاجين إلى الركوب لم يُركبوهم، ويرون أن إركابهم يتنافى مع كبريائهم وغطرستهم، فالحديث من أعلام نبوته صلى الله عليه وسلم». اهـ.

ولقد بيّن الشيخ درجة هذا الحديث الذي استنبط منه «نبوءة النبي صلى الله عليه وسلم عن السيارات»، فقال: «هذا إسناد حسن رجاله كلهم ثقات، رجال الشيخين». اهـ.

قلت: وهذا الخبر الذي استنبط منه الشيخ الألباني رحمه الله قصة «نبوءة النبي صلى الله عليه وسلم عن السيارات»، لا يثبت؛ حيث إن علته تدور حول: «سعيد بن أبي هند عن أبي هريرة مرفوعًا»، وسعيد بن أبي هند ثقة كما سنبين من التحقيق وكذلك من رجال البخاري ومسلم احتجاجًا كما سنبين أيضًا.

٧) تراجع الشيخ العلامة المحدث الألباني رحمه الله:

قال الشيخ الألباني في «سلسلة الأحاديث الضعيفة» (١١/٥): «طال ما أقول مذكرًا إخواني: إن العلم لا يقبل الجمود، أكرر ذلك في مجالسي ومحاضراتي، وفي تضاعيف بعض مؤلفاتي وذلك مما يوجب على المسلم أن يتراجع عن خطئه عند ظهوره، وأن لا يجمد عليه أسوة بالأئمة، من أجل ذلك فإنه لا يصعب عليَّ أن أتراجع عن الخطأ إذا تبين لي، وذلك من فضل الله علينا وعلى الناس ولكن أكثر الناس لا يشكرون»، ولذلك فإني أقول:

«سيجد القراء الكرام أني نقلت من «السلسلة الصحيحة» الحديثين:

(٩٣) تكون إبل للشياطين، ورقم (١٩٥) إن الله يبغض كل جعظري جواظ. إلى «السلسلة الضعيفة» برقم (٢٣٠٣) و(٢٣٠٤)، وقد جعلتها هنا لعلة مبينة.. أقول هذا أداءً للأمانة ونصحًا للأمة، وبيانًا لمن ألقى السمع غير آبهٍ لتقوُّل المتقولين، وافتراء المفترين من أمثال من عدا علينا وغمطنا حقنا... اهـ.

قلت: أي وربي إنك أنت الشيخ الإمام؛ اتخذت أسوتك الأئمة الأعلام، فيما قدمته من تراجعات، بما فتح الله عليك بمعرفة عللها الخفيات، فافترى عليك كل حاقد حاسد وجعل من إفكه التراجعات تناقضات، وسوّد فيها مصنفًا من المصنفات، عنوان «التناقضات». اهـ.

ولقد بيّن الشيخ الألباني رحمه الله حقيقة هذا المفتري الذي سوّلت له نفسه أن يجعل مراجعات الشيخ العلمية «تناقضات»، فقال في مقدمة المجلد السادس من الصحيحة. ص (٤): «التناقضات هي تناقضات رأسه، واضطرابات فكره، التي انعكست على قلبه عداءً وعلى قلمه استعداءً... ثم قال: أما أهل العدل والإنصاف فإنهم يعدون مثل هذه المواقف العلمية رفعة في الأمانة وغلوًا في أداء الحق لأهله...». اهـ.

قلت: الله أسأل أن يجعلنا منهم فمنذ أكثر من أربعة وعشرين عامًا نشرت لنا مجلة التوحيد الغراء في عددها شعبان ١٤٢٠هـ، مقالاً في رثاء الشيخ الألباني رحمه الله، بعنوان: «الألباني مكانةً ومنهجًا»، في أكثر من مائة وعشرين سطرًا بيّنت فيها أيضًا مثل هذه المواقف العلمية وأنها رفعة له في الأمانة، وعلوًا له في أداء الحق لأهله.

ثانيا: المتن:

روي عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «تكون إبل للشياطين، وبيوت للشياطين، فأما إبل الشياطين فقد رأيتها يخرج أحدكم بجنيبات معه قد أسمنها فلا يعلو بعيرًا منها، ويمر بأخيه قد انقطع به فلا يحمله. وأما بيوت الشياطين فلم أرها».

ثالثا: التخريج:

الحديث الذي جاءت به قصة «بيوت الشياطين» والتي جعلت نبوءة النبي صلى الله عليه وسلم عن السيارات أخرجه الإمام الحافظ أبو داود سليمان بن الأشعث السجستاني في «السنن» ح (٢٥٦٨): حدثنا محمد بن رافع، حدثنا ابن أبي فديك، حدثني عبد الله بن أبي يحيى، عن سعيد بن أبي هند، قال: قال أبو هريرة فذكره مرفوعًا به، وزاد: «وكان سعيد يقول: لا أراها إلا هذه الأقفاص التي تستر الناس بالديباج».

رابعا: التحقيق:

١) هذا الخبر لا يصح وعلته «سعيد بن أبي هند عن أبي هريرة».

٢) قال الحافظ ابن حجر في التقريب (٣٠٧/١): «سعيد بن أبي هند ثقة من الثالثة/ع». اهـ.

قلت: «الثالثة»: تعني «الطبقة الوسطى من التابعين»، (ع): تعني «روى له أصحاب الأصول الستة أي من رجال الشيخين والسنن الأربعة».

٣) فقول الشيخ الألباني رحمه الله في «السلسلة الصحيحة» ح (٩٣): «هذا إسناد حسن رجاله كلهم ثقات رجال الشيخين...» ينطبق تمام الانطباق على سعيد بن أبي هند فهو كما هو مبين من قول الحافظ ابن حجر: ثقة، ومن رجال الشيخين احتجاجًا.

٤) ولسائل أن يسأل: إذا كان سعيد بن أبي هند ثقة من رجال الشيخين، احتجاجًا، كيف يصبح علة يرد بها الحديث؟

والجواب أن يقال: إن العلة في هذا الحديث لم تكن مطلقة، ولكن مقيدة برواية سعيد بن أبي هند عن أبي هريرة، فهي مردودة بالسقط الخفي، فقد قال الإمام الحافظ ابن أبي حاتم في «المراسيل» رقم (٢٦٦): سمعت أبي يقول: «سعيد بن أبي هند لم يلق أبا هريرة». اهـ.

٥) وهذه العلة أدركها أئمة هذا الفن مثل طبيب الحديث وعلله الإمام البخاري والإمام مسلم فإن كان سعيد عن أبي هند روى له البخاري ومسلم احتجاجًا وليس متابعة أو استشهادًا، فهو من رجال الشيخين ولكن لإدراك الإمامين البخاري ومسلم لهذه العلة وهي: «سعيد بن أبي هند لم يلق أبا هريرة». فلم يخرجا له حديثًا واحدًا من هذا الطريق. «سعيد بن أبي هند عن أبي هريرة».

٦) والدليل على ذلك ما أورده الإمام الحافظ المزي في «تحفة الأشراف» (٧٥/١٠) ح (١٣٣٧٨)، في رواية (سعيد بن أبي هند المدني عن أبي هريرة)، لم يذكر إلا حديثًا واحدًا لم يخرجه من أصحاب الكتب الستة إلا أبو داود في سننه حيث قال: حديث «تكون إبل للشياطين وبيوت للشياطين».... الحديث «في الجهاد». اهـ.

٧) وهو من رجال البخاري لأنه روى له حديثًا واحدًا ليس عن أبي هريرة ولكنه عن ابن عباس في «صحيحه» ح (٦٤١٢): عن سعيد بن أبي هند عن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «نعمتان مغبون فيهما كثير من الناس الصحة والفراغ».

٨) كذلك هو من رجال مسلم لأنه روى له حديثًا واحدًا ليس عن أبي هريرة ولكنه عن سعيد بن أبي هند عن أبي مرة مولى عقيل، عن أم هانئ بنت أبي طالب: حديث غُسل النبي صلى الله عليه وسلم عام الفتح وفاطمة ابنته تستره بثوب: صحيح مسلم- باب: «تستُّر المغتسل بثوب» ح (٧١/ ٣٣٦).

٩) من أجل هذا فإن من الحديث صناعته لا يعرفه قول القائل في الراوي: «ثقة من رجال الشيخين» ولكن يبحث في الكيفية التي روى له بها الشيخان وهذا ينطبق تمام الانطباق على الراوي سعيد بن أبي هند: فتراجع الشيخ الألباني رحمه الله، عندما استبانت له الكيفية واستبان له الانقطاع فقال في «الضعيفة» ح (٢٣٠٣): «ثمَّ تبين أن فيه انقطاعًا بين سعيد وأبي هريرة، وقد كنت أوردت الحديث في «الصحيحة» برقم (٩٣)، قبل أن يتبين لي الانقطاع المذكور؛ فالحمد الذي هدانا لهذا، وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله». اهـ.

١٠) وهذا تطبيق على «المرسل الخفي» ومصطلحه: أن يروي الراوي عن شيخ عاصره ولم يلْقه، أو لقيه ولم يسمع منه بصيغة تحتمل السماع مثل (عن) و(قال). اهـ.

هذا ما وفقني الله إليه وهو وحده من وراء القصد.

درر البحار

في بيان ضعيف الأحاديث القصار

إعداد / الشيخ علي حشيش

(٩٧٢): «ثلاث من كن فيه فهو من الأبدال: الرضا بالقضاء، والصبر عن محارم الله، والغضب في ذات الله».

الحديث لا يصح: أورده الإمام السيوطي في «مخطوطة درر البحار في الأحاديث القصار» (ص ٢/٣٦) مكتبة الحرم النبوي (الحديث) رقم المخطوطة (٢١٣/١٠٧).

وقال: «فر عن معاذ بن جبل».

قلت: «فر» ترمز إلى «مسند الفردوس» للديلمي.

وهذا تخريج بغير تحقيق فيتوهم من لا دراية له بالصناعة الحديثية أن الحديث صحيح وهو كما سنبين أنه «موضوع».

فائدة: «الموضوع: هو الكذب المختلَق المصنوع، وهو شر الضعيف وأقبحه، وتحرم روايته في أيِّ معنى كان: سواء الأحكام والقصص والترغيب وغيرها إلا مقرونًا ببيان وضعه» كذا في «تدريب الراوي» (٢٧٤/١) النوع (٢١) للإمام السيوطي، وقال الحافظ ابن حجر في «شرح النخبة» ص (٤٤): «الطعن بكذب الراوي في الحديث النبوي هو الموضوع». اهـ.

وسنطبق هذا المصطلح على هذا الحديث من التخريج والتحقيق:

أولا: التخريج:

فالحديث أخرجه أبو منصور الديلمي في «مسند الفردوس» ح (١٣٠٥- الغرائب الملتقطة) قال: أخبرنا فيد، أخبرنا البجلي، أخبرنا السلمي، حدثنا أحمد بن علي، حدثنا جعفر بن عبد الوهاب السرخسي، حدثنا عبيد بن آدم، عن أبيه، عن أبي حمزة، عن ميسرة بن عبد ربه، عن المغيرة بن قيس عن شهر بن حوشب، عن عبد الرحمن بن غنيم عن معاذ بن جبل، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكره.

ثانيا: التحقيق:

هذا الحديث مسلسل بالعلل:

العلة الأولى: «ميسرة بن عبد ربه».

١) قال الإمام البخاري في «الضعفاء الصغير» (٣٥٥): «يُرْمَى بالكذب».

٢) قال الإمام ابن حبان في «المجروحين» (١١/٣): «ميسرة بن عبد ربه الفارسي من أهل دورق كان ممن يروي الموضوعات عن الأثبات، ويضع المعضلات عن الثقات، لا يحل كتابة حديثه إلا على سبيل الاعتبار». اهـ.

٣) قال الإمام ابن أبي حاتم في «الجرح والتعديل» (٢٥٤/١/٤): سألت أبي عنه فقال: «كان يُرْمَى بالكذب، وكان يفتعل الحديث، دون في فضل قزوين والثغور بالكذب». ثم قال ابن أبي حاتم سئل أبو زرعة عن ميسرة بن عبد ربه فقال: «كان يضع الحديث وضعًا». اهـ.

٤) نقل الإمام الذهبي أقوال هؤلاء الأئمة وأقرها في «الميزان» (٤/ ٢٣٠/ ٨٩٥٨)، وقال أبو داود: أقر بوضع الحديث. اهـ.

العلة الثانية: «شهر بن حوشب» قال الحافظ ابن حجر في «التقريب» (٣٥٥/١): «كثير الإرسال والأوهام».

العلة الثالثة: «السلمي هو محمد بن الحسين أبو عبد الرحمن السلمي النيسابوري». قال الإمام الذهبي في «الميزان» (٧٤١٩/٥٢٣/٣): «شيخ الصوفية وصاحب تاريخه وطبقاتهم وتفسيرهم تكلموا فيه وليس بعمدة». اهـ.

وقال الحافظ الخطيب البغدادي في «التاريخ» (٧١٧/٢٤٨/٢): «قال لي محمد بن يوسف القطان: كان يضع الأحاديث للصوفية وهو غير ثقة». اهـ.

الحلقة 15

نماذج تُحتذى من أعلام وأئمة أهل السنة

الشيخ عبد القادر الجيلاني ناصر السنة وقدوة العارفين.. المُفترَى عليه

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله ؛وعلى آله وصحبه ومن والاه.. وبعد

فكثيرًا ما يفتري أهلُ التصوف الكذبَ على أولياء الله الصالحين الذين أفضَوا إلى ما قدموا، فيطلبون منهم الغوث والعون والمدد ظنًا منهم أن ذلك نافع لهم ولمن يدعونهم من دون الله دنيا وأخرى، وأنهم بذلك يحسنون صنعًا، بل قد تصل بهم المغالاة لأن يطلبوا منهم ما لا يقدر عليه إلا الله فيوقعهم ذلك في الشرك عياذًا بالله.. بينا الأمر لا يعدو أن يكون كما أخبر الله قائلًا: «وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَن لَّا يَسْتَجِيبُ لَهُۥٓ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَـٰمَةِ وَهُمْ عَن دُعَآئِهِمْ غَـٰفِلُونَ (٥) وَإِذَا حُشِرَ ٱلنَّاسُ كَانُوا۟ لَهُمْ أَعْدَآءً وَكَانُوا۟ بِعِبَادَتِهِمْ كَـٰفِرِينَ» (الأحقاف: ٥، ٦).. وممن نحسبهم من الأولياء ويُفعل معه ما ذكرنا: الشيخ عبد القادر الجيلاني

إعداد أ.د. محمد عبد العليم الدسوقي

الأستاذ بجامعة الأزهر

أ- التعريف بنشأته وطلبه وتدريسه للعلم:

وهو شيخ الإسلام مُقتَدى الأولياء وإمامُ الأصفياء، علمُ الهدى وناصرُ السنة وقامع البدعة محيي الدين أبو محمد عبد القادر بن أبي صالح عبد الله المنتهي نسبه إلى الحسن بن علي رضي الله عنهما

ولد رحمه الله سنة ٤٧٠هـ بالجيل وهي قرية بشاطئ دجلة قرب المدائن في بغداد، ونقل عنه أنه كان لا يرضع في نهار رمضان كما حكت ذلك أمه فاطمة أم الخير رحمها الله.. فكان أن نشأ في بيئة معروفة بالعلم ومؤيَّدة بالكرامات، فأبوه من كبار علماء جيلان، وأمه من عُرِفت بالكرامات، وهي ابنة أبي عبد الله الصومعي العارف العابد الزاهد.

وفد الجيلاني بغداد شابًا وقد عَرف أن طلب العلم فريضة فشمَّر عن ساعد الجد والتحصيل، وسارع في طلبه قاصدًا أعلام الهدى من علماء عصره، فابتدأ حياته بقراءة القرآن حتى أتقنه، وأخذ علوم الحديث والفقه واللغة والأدب وغيرها على أيدي كثير من مشاهير العلماء والفقهاء والمحدثين حتى ألم بعلوم الشريعة وبلغ شأوًا بعيدًا وفاق أهل زمانه وتميز من بين أقرانه، ثم إن الله أظهره للخلق وأوقع له القبول العظيم، فكان إمام الحنابلة وشيخهم في عصره، وكان أستاذه (أبو سعيد المخرمي) قد بنى مدرسة وفوض له أمرها، فكان يكلم الناس بلسان الوعظ وظهر له صيت بالزهد، فضاقت مدرسته بالناس فكان يجلس عند سور بغداد مستندًا إلى الرباط ويتوب عنده في المجلس خلق كثير، فعمُرت المدرسة ووُسِّعت وتعصب في ذلك العوام وأقام في مدرسته يدرس ويعظ إلى أن توفي.. كذا أفاده ابن الجوزي في المنتظم (١٨/ ١٧٣).

وكان رحمه الله يتكلم في ثلاثة عشر علمًا، والناس طرفي النهار كانوا يقرءون عليه في مدرسته دروسًا من التفسير والحديث

والمذهب والخلاف والأصول واللغة، وبعد الظهر يُقرئ القرآن بالقراءات، وكان يفتي على مذهب الشافعي وأحمد وكانت فتواه تعرض على العلماء بالعراق فتعجبهم أشد الإعجاب فيقولون: (سبحان من أنعم عليه بهذا).

يحكي الحافظ أبو العباس أحمد البندنيجي شيئًا من ذلك فيقول كما في (قلائد الجواهر) ص٣٨: "حضرت أنا والشيخ جمال الدين بن الجوزي رحمه الله، مجلس الشيخ عبد القادر فقرأ القارئ آية فذكر الشيخ في تفسيرها وجهًا، فقلت للشيخ جمال الدين: أتعلم هذا الوجه؟ قال: نعم، ثم ذكر وجهًا آخر، فقلت له: أتعلم هذا الوجه؟ قال: نعم، فذكر الشيخ فيها أحد عشر وجهًا وأنا أقول له: أتعلم هذا الوجه؟ وهو يقول: نعم، ثم الشيخ ذكر فيها وجهًا آخر، فقلت له: أتعلم هذا؟ قال: لا، حتى ذكر فيها كمال الأربعين وجهًا يعزو كل وجه إلى قائله، والشيخ جمال الدين يقول: لا أعرف هذا الوجه، واشتد عجبه من سعة علم سيدنا الشيخ رحمه الله".

وظل الجيلاني طوال حياته متعلقًا بأهداب الورع، يجتهد وينشر العلم ويأخذ بالعزيمة في أحواله جميعًا، ويُكثر من النوافل في أوقاته كلها حتى إنه كان يعتبرها بالنسبة إليه كالفروض من حيث التزامه بأدائها.. يقول أبو الفتح الهروي: (خدمت الشيخ أربعين سنة فكان في مدتها يصلي الصبح بوضوء العشاء).

ب- ثناء العلماء عليه:

قال عبد الكريم السمعاني كما في (السِّير٢٠/٤٤١): "كان عبد القادر إمام الحنابلة وشيخهم في عصره.. فقيه صالح دَيِّنٌ خَيِّر، كثير الذكر دائم الفكر، وهو شديد الخشية، مجاب الدعوة، أقرب الناس للحق، ولا يرد سائلا ولو بأحد ثوبيه".

وقال ابن قدامة المقدسي في (ذيل طبقات الحنابلة ٢/١٩٥): "دخلنا بغداد سنة إحدى وستين وخمسمائة فإذا الشيخ عبد القادر قد انتهت إليه الرئاسة بها علمًا وعملاً ومآلاً واستفتاءً، وكان يكفي طالبَ العلم عن قصْد غيره من كثرة ما اجتمع فيه من العلوم والصبر وسعة الصدر على المشتغلين بها، وكان ملء العين، وقد جمع الله فيه أوصافًا جميلة، وأحوالاً عزيزة، وما رأيت بعده مثله.. ولا رأيت أحدًا يعظمُه الناس من أجل الدين أكثر منه".. كما أشاد به سبط بن الجوزي في كتابه: (مرآة الزمان في تاريخ الأعيان)

وقال النووي: "ما علمنا فيما بلغنا من التفات الناقلين وكرامات الأولياء، أكثر مما وصل إلينا من كرامات شيخ بغداد محيي الدين عبد القادر الجيلاني، كان شيخ السادة الشافعية والسادة الحنابلة ببغداد وانتهت إليه رياسة العلم في وقته، وتخرج بصحبته غير واحد من الأكابر وانتهى إليه أكثر أعيان مشايخ العراق وتتلمذ له خلق لا يحصون عددًا من أرباب المقامات الرفيعة، وانعقد علية إجماع المشايخ والعلماء بالتبجيل والإعظام، والرجوع إلى قوله والمصير إلى حكمه، وأهرع إليه أهل السلوك والتصوف من كل فج عميق، وكان جميل الصفات شريف الأخلاق كاملَ الأدب والمروءة كثيرَ التواضع دائم البشر وافر العلم والعقل، شديد الاقتفاء لكلام الشرع وأحكامه معظمًا لأهل العلم مُكرَمًا لأرباب الدين والسنة، مبغضًا لأهل البدع والأهواء محبًا لمريدي الحق، مع دوام المجاهد ولزوم المراقبة إلى الموت، وكان له كلام عال في علوم المعارف، شديد الغضب إذا انتهكت محارم الله تعالى سخي الكف كريم النفس على أجمل طريقة، وبالجملة لم يكن في زمنه مثله".

وقال عنه اليافعي المؤرخ: إنه "قطب الأولياء الكرام، شيخ المسلمين والإسلام ركن الشريعة وعلم الطريقة، شيخ الشيوخ، قدوة الأولياء العارفين الأكابر.. تحلى بحُلي العلوم الشرعية وتجمل بتيجان الفنون الدينية، وتزود بأحسن الآداب وأشرف الأخلاق، قام بنص الكتاب والسنة خطيبًا على الأشهاد، ودعا الخلق إلى الله فأسرعوا إلى الانقياد، وأبرز جواهر التوحيد من بحار علوم تلاطمت أمواجها، وأبرأ النفوس من أسقامها وشفى الخواطر من أوهامها وكم رد إلى الله عاصيًا، تتلمذ له خلق كثير من الفقهاء"

وقال ابن تيمية في مجموع الفتاوى ١٠/٨٨٤: "الشيخ عبد القادر ونحوه من أعظم مشايخ زمانهم أمرًا بالتزام الشرع والأمر والنهي،

وتقديمه على الذوق والقدر، ومن أعظم المشايخ أمرًا بترك الهوى والإرادة النفسية"، وقال بنفس المصدر: "وهو كان يُعظِّم الأمر والنهي ويُوصي باتباع ذلك وينهى عن الاحتجاج بالقدر"، وقال: "والشيخ عبد القادر كلامُه كله يدورُ على اتباع المأمور، وترك المحظور والصبر على المقدور ولا يُثبت طريقا تخالف ذلك أصلا لا هو ولا عامة المشايخ المقبولين عند المسلمين ويُحذر عن مُلاحظة القدر المحض بدون اتباع الأمر والنهي".

وقال الذهبي في السير ٢٠/٤٣٩: "الشيخ عبد القادر الشيخ الإمام العالم الزاهد العارف القدوة، شيخ الإسلام، علم الأولياء، محيي الدين، أبو محمد، عبد القادر الجيلي الحنبلي، شيخ بغداد"، وقال عنه في تاريخ الإسلام ٣٩/٨٧: "قدوة العارفين، صاحب المقامات والكرامات".

وقال الحافظ ابن كثير في (البداية والنهاية) ١٢/٧٦٨: "وكان له سمتٌ حسن، وصمتٌ عن غير الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وكان فيه تزهد كثير، وله أحوال صالحة ومكاشفات".

ولابن رجب الحنبلي في (طبقاته) ٢/١٨٩ قوله: "عبد القادر الجيلي ثم البغدادي، الزاهد: شيخ العصر وقدوة العارفين وسلطان المشايخ ومحيي الدين، ظهر للناس وحصل له القبول التام، وانتفعوا به وبكلامه ووعظه، وانتصر أهل السنة بظهوره وانخذل أهل البدع، واشتهرت أحواله وأقواله وكراماته ومكاشفاته، وجاءته الفتاوى من سائر الأقطار، وهابه الخلفاء والوزراء والملوك فمن دونهم".

ولابن حجر العسقلاني - كما في (قلائد الجواهر في مناقب الشيخ عبد القادر) للتادفي ص٢٣ - قوله: "كان الشيخ متمسكا بقوانين الشريعة، يدعو إليها وينفرُ عن مخالفتها ويشغل الناس فيها مع تمسكه بالعبادة والمجاهدة، ومزج ذلك بمخالطة الشاغل عنها غالبا كالأزواج والأولاد، ومن كان هذا سبيله كان أكمل من غيره لأنها صفة صاحب الشريعة صلى الله علية وسلم".. وبنفس المصدر ص٨ عن الحافظ بن يوسف الاشبيلي ما نصه: "الجيلاني فقيه الحنابلة والشافعية ببغداد وشيخ جماعتهما، وله القبول التام عند الفقهاء والفقراء والعوام.. انتفع به الخاص والعام، وكان مجابَ الدعوة سريع الدمعة، رقيق القلب دائم البشر، كريمَ النفس سخيّ اليد، غزيرَ العلم شريف الأخلاق طيب الأعراق، مع قدم راسخ في العبادة والاجتهاد".

ومن أثْنية المعاصرين على الجيلاني:

أ-ما حدث به الشيخ عبد العزيز بن عبد الله الراجحي، فقد سئل: هل كان عبد القادر الجيلاني على عقيدة أهل السنة والجماعة، وأن تلاميذه عظموه بعد وفاته؛ لأنني قرأت هذا في بعض الكتب؟

فأجاب: "أن نعم، عبد القادر الجيلاني من الصالحين، ومن الحنابلة ولكن الناس عكفوا على قبره، وغلوا فيه ودعوه من دون الله، وهو لا يرضى بذلك، وهو من العلماء الأفاضل، ذكره شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله، ونقل عنه قصة:

وهو أن الشياطين تستولي على بعض الناس، وتغريهم بالشرك، وتتسلط على المشركين، ومن ذلك أن بعض الشياطين تدخل في القبور، وتخاطب من يدعوها من دون الله، ويُسمع منها الصوت مثل العزى، كان يسمع منها الصوت، فيظن المشرك إذا دعاه، وقد يقضي له حاجته، فيظن أن الميت هو الذي دعاه، وقد ينشق القبر ثم يخرج الشيطان في صورة الميت ويسلم عليه، ويقول: أنا أقضي لك حوائجك حتى يغريه بالشرك ويشجعه عليه، وذكر ابن تيمية أن شخصًا رآني بصورتي في البلد الفلاني، وأنا في البلد الفلاني، وما هو إلا شيطان تشبه به، ومن ذلك ما حصل لعبد القادر الجيلاني من أنه رأى عرشا بين السماء والأرض يخاطبه.

جـ- دور الشياطين في إغواء الخلق عن توحيد الله

فالشياطين لهم شيطنة يتسلطون على بعض الناس وعباد القبور وغيرهم، يشجعونهم على الشرك والذبح لغير الله، حتى إذا تركوا ذلك أو تأخروا عنه آذوهم حتى يفعلوا الشرك ويذبحوا لغير الله، وإلا تسلطوا عليهم، قال الله تعالى: «فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ

ٱلرَّجِيمِ ﴿٩٨﴾ إِنَّهُۥ لَيْسَ لَهُۥ سُلْطَٰنٌ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٩٩﴾ إِنَّمَا سُلْطَٰنُهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُۥ وَٱلَّذِينَ هُم بِهِۦ مُشْرِكُونَ » (النحل: ٩٨، ١٠٠) حتى إن بعض عباد القبور يزحف أو يأتي كأنه ساجد حتى يصل إلى القبر، يقول: إنه لا يستطيع يمشي وهو مستقيم، ولو مشي وهو مستقيم سقط وخبطه الشيطان حتى يمشي وهو راكع أو يزحف على ركبتيه، وإذا غير هذه الحالة ما استطاع.. وهذا مشاهد وواقع في قصص كثيرة من هذا".

يقول الراجحي: "وقد ذكر لي بعض المصريين الحجاج: إنه يذبح للسيد البدوي، وبعضهم يقول: يذبح في العام مرة، ويقول: (هذا ولي لأهل الله، وعلي ذبيحة لأهل الله)، ويقول: (إني أردت مرة أن أترك الذبح أو تأخرت عنه فجاءني في الليل جمل فتح فاه، يريد أن يأكلني فما تخلصت حتى ذبحت للبدوي)، فهذا من تلاعب الشياطين، والشياطين تتسلط عليهم، كما قال الله: « إِنَّمَا سُلْطَانُهُ عَلَى الَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُ وَالَّذِينَ هُمْ بِهِ مُشْرِكُون » ".. وقد سبق ذكر عبارات شيخ الإسلام في ثنائه على الشيخ عبد القادر وتبرئه من كل ذلك".

وفي تبرئة الجيلاني مما يفعله المعاصرون في زماننا عند قبره، ساق الراجحي كلام الشيخ عبد الرحمن بن حسن في كتابه (كشف ما ألقاهُ إبليس من البهرج والتلبيس) ص٢٦١-٢٦٤، وقوله: "وكذلك ما كان يفعلهُ أهل العراق والمغرب والسواحل، من البناء على قبر عبد القادر الجيلاني، وبناء المشاهد لعبادة عبد القادر، كالمشهد الذي في أقصى المغرب، وينادونه من مسافة أشهر بل سنة لتفريج كرباتهم وإغاثة لهفاتهم، ويعتقدون أنهُ من تلك المسافة يسمع داعية ويجيب مناديه، يقول قائلهم: (إنه يسمع ومع سماعه ينفع)"، وفي رد ذلك يقول صاحب (الكشف) مستنكرًا: "وهو لما كان حيًا يسمع ويبصر، لم يعتقد أحد فيه أنه يسمع من ناداهُ من وراء جدار، فكيف بعد موته؟!، وهل هذا إلا لاعتقادهم أنهُ يعلم الغيب ويقدر على ما لا يقدر عليه إلا الله؟؛ فلو جاز في حق عبد القادر لجاز في حق من هو أفضل منهُ بأضعاف من الخلفاء الراشدين والسابقين الأولين والأئمة المهتدين أن يُدعى من تلك المسافة ويستجيب.. وما أشبه هذا باعتقاد من اعتقد في أمير المؤمنين علي بن أبي طالب الإلهية، فخدَّ لهم الأخاديد وألقى فيها من الحطب وأضرم فيها النار فقذفهم فيها، وإنما فعل رضي الله عنه ذلك رغم قول ابن عباس له: (إنهم يقتلون بالسيف)، لشدة غيرته على التوحيد وشدة إنكاره للشرك والتنديد.

وهذا الذي يفعلهُ هؤلاء مع من ذكرنا، إنما هو من تأله القلوب بهم وشدة اعتقادهم فيهم وصرف خصائص الربوبية والإلهية لهم، وعبد القادر رحمه الله لاشك أن لهُ فضل ودين وهو حنبلي المذهب، وأكثر أصحاب الإمام أحمد ومَن في طبقة أحمد من أئمة المحدثين والفقهاء أفضل منه في العلم بالاتفاق، فلو جازت هذه الأمور في حق عبد القادر لجاز أن تفعل في حق أحد من هؤلاء، بل وفي حق من هو أفضل من الكل كأعيان التابعين ومَن قبلهم من الصحابة كالخلفاء الراشدين.

وذلك إنما نذكره على سبيل التمثيل، وإلا فبناء المساجد والمشاهد على القبور وعبادتها، قد عمت به البلوى في كثير من ديار الإسلام، وقد لعن رسول الله صلى الله عليه وسلم من فعل ذلك، كما صح عنه أنه قال: (لعنة الله على اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد يحذر ما فعلوا)، وقال لأم سلمة لما ذكرت لهُ كنيسة بأرض الحبشة، وما فيها من الصور قال: (أولئك إذا مات فيهم الرجل الصالح أو العبد الصالح بنوا على قبره مسجدًا وصوروا فيه تلك الصور، أولئك شرار الخلق عند الله يوم القيامة).. فما أعظم ما وقع من الشرك في كثير من هذه الأمة!، فقد ربا على شرك أهل الجاهلية، فإن أولئك أقروا بتوحيد الربوبية وجحدوا توحيد الإلهية وهؤلاء صرفوا خصائص الربوبية والإلهية لغير الله" وإلى الله المشتكى..

والحمد لله رب العالمين.

اسم الله (الودود): بعض معانيه وآثاره في حياة المسلم

إعداد د. ماهر بن حمد المعيقلي

خطيب المسجد الحرام

الحمد لله، الحمد لله الملك المعبود، الغفور الودود، ذي العرش المجيد، فعال لما يريد، -سبحانه- وبحمده، وتبارك اسمه، وتعالى جده ولا إله غيره، وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له، في ربوبيته وألوهيته وأسمائه وصفاته، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله، عرّف أمّته بربهم -سبحانه-، وبلغهم رسالته، وبيّن لهم شريعته، فمَنْ أطاعه سعد في الدنيا والآخرة، ومَنْ عصاه خسرَ الدنيا والآخرة، صلى الله وسلم وبارك عليه، وعلى آله وأصحابه، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعدُ، معاشرَ المؤمنينَ: فاتقوا الله-تعالى- وأطيعوا، وأقيموا له دينكم، وأسلموا له وجوهكم، وأخلصوا له أعمالكم؛ (يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ) (آل عمران: ١٠٢).

المكانة العظمى لمعرفة الله تعالى:

أُمّةَ الإسلام: إنَّ معرفةَ الربِّ-جل جلاله-، بأسمائه وصفاته وأفعاله، هو لُبُّ الإيمان، وغايةُ دعوة الأنبياء والمرسلين؛ فالعبد إذا عرف ربَّه، أخلص في توحيده، واجتهد في طاعته، وابتعد عن مخالفة أمره، وزاد تعظيمًا له وإجلالاً، ومحبةً وإقبالاً، وتعلق قلبُه برؤيته ولقائه، ومَنْ أحبَّ لقاءَ الله، أحبَّ الله لقاءه، ولله تسعة وتسعون اسمًا، مَنْ أحصاها دخل الجنة، ولقد أثنى الله-تعالى- على ذاته العلية، فوصف نفسَه بالودود، فقال سبحانه: (وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلْوَدُودُ ⑭ ذُو ٱلْعَرْشِ ٱلْمَجِيدُ) (البُرُوج: ١٤-١٥)، وقال-جل في علاه- على لسان نبيّه شعيب-عليه السلام-: (وَٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوٓا۟ إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّى رَحِيمٌ وَدُودٌ) (هُودِ: ٩٠). فالمودة: هي وصفٌ زائدٌ على مُطلق المحبة، فالودود هو ذو المحبة الخالصة، والرب-جل جلاله- وتقدّست أسماؤه، يتودّد إلى خلقه بصفاته الجليلة، وآلائه ونعمه العظيمة، وألطافه الخفية، فكل ما في الكون من آيات بيّنات، هي ودٌّ من الخالق ورحمة، وتفضل منه وإحسان ومنّة: (وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ) (الجاثية: ١٣).

ومنْ كرمه-سبحانه-، وجوده ورحمته، أنْ هدى عبادَه للإسلام، وأكمل لهم الدينَ، ونفى عنهم الحرجَ والمشقة، وأمرَهم بذكره وشكره، ووعد مَنْ شكره بالمزيد، رغبةً في صلاح عباده، ونيلهم خيره ورضاه، فقال سبحانه: (فَٱذْكُرُونِىٓ أَذْكُرْكُمْ وَٱشْكُرُوا۟ لِى وَلَا تَكْفُرُونِ) (البَقَرَة: ١٥٢).

وأمَّا مَنْ تلقفَتْه الشهواتُ والشبهاتُ، وأسرَف على نفسه بالخطيئات، فالودود-سبحانه- يُخاطبه بألْيَن خطاب، وأجمل عتاب، فيقول سبحانه: (قُلْ يَٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ

لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ) (الزُّمَر: ٥٣)، فسبحانه من رب كريم، رحيم حليم، يعصونه فيدعُوهم إلى بابه، ويُخطئون فلا يمنعهم إحسانه، بل لا يزال خيرُه إليهم نازلاً، وشرُّهم إليه صاعداً، ويحلم عنهم ويسترهم، ويبسط يده بالليل، ليتوب مسيء النهار، ويبسط يده بالنهار ليتوب مسيء الليل، وينزل-تبارك وتعالى- كل ليلة إلى السماء الدنيا، نزولا يليق بجلاله، حين يبقى ثلث الليل الآخر، فيقول: "مَنْ يدعوني فأستجيب له، مَنْ يسألني فأعطيه، مَنْ يستغفرني فأغفر له"، فإن تابوا إليه، فهو حبيبُهم؛ لأنه-سبحانه- يحب التوابين، بل إن من مودته للتائبين، أنه يفرح بتوبتهم وهو الغني عنهم، ويُبيِّن لهم سعة رحمته، والأسبابَ التي ينالون بها مغفرته، فيقول-جل جلاله-: (وَرَحْمَتِى وَسِعَتْ كُلَّ شَىْءٍ ۚ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَٰتِنَا يُؤْمِنُونَ) (الأعْرَاف: ١٥٦).

بعض معاني اسم الله الودود:

إخوة الإيمان: إنَّ الودود-سبحانه-، هو الوادُّ لأوليائه، والمودود لهم، فالله-جل جلاله-، يُحبُّ المؤمنين ويُحبُونه، فمحبة المؤمنين لربهم، بتوحيده والإيمان به، واتباع رسوله صلى الله عليه وسلم: (قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ) (آل عمران: ٣١).

ولا يزال العبد يُسارع في مرضاة مولاه، حتى يفوز بالحب، ويظفر بالقرب، فإذا أحبَّ الله-عز وجل- عبده، حبَّبه إلى خلقه، فما أقبل عبدٌ بقلبه إلى الله، إلا أقبل الله بقلوب الخلق إليه، ففي صحيح مسلم: عَنْ سُهَيْل بْن أبي صالح، قال: كنّا بعرفة، فمرَّ عُمرُ بْنُ عَبْد العَزِيز، وهُوَ على المَوْسم، فقامَ النَّاسُ يَنْظُرُونَ إلَيْه، فَقُلْتُ لأبي: يا أبت إنّي أرى الله يُحبُّ عُمر بْن عَبْد العزيز، قال: وما ذاك؟، قُلْتُ: لما له من الحبِّ في قُلوب النَّاس، فقال: بأبيك أنْتَ، سَمعْتُ أبا هُرَيْرَةَ-رضي الله عنه-، يُحَدِّثُ عَنْ رَسُول الله صلى الله عليه وسلم: "إذا أحَبَّ الله العَبْدَ نادَى جبْريل: إنَّ الله يُحبُّ فلانًا فأَحْبِبْهُ. فَيُحبُّهُ جبْريل، فيُنادي جبْريل في أهْل السَّماء: إنَّ الله يُحبُّ فلانًا فأَحبُّوهُ، فَيُحبُّهُ أهْلُ السَّماء، ثُمَّ يُوضَعُ لهُ القَبُول في الأرْض".

وفي كتاب الزهد للإمام أحمد، قيل لأحد الصالحين: كيْف أصْبَحْتَ؟ قال: "أصْبَحْتُ بيْنَ نعْمتيْن، لا أدْري أيُّهُما أفْضلُ؟: ذُنُوبٌ سَترَها الله، فلا يَسْتطيعُ أنْ يُعيِّرَني بها أحَد، ومَوَدَّةٌ قَذَفَها الله في قُلوب العباد، ولَم يَبْلُغْها عملي"؛ (إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ ٱلرَّحْمَٰنُ وُدًّا) (مَرْيَم: ٩٦)، (سَيَجْعَلُ لهُمُ الرَّحْمَنُ وُدًّا)، في الأولى والأخرى، فمودة الله-تعالى- لعبده المؤمن، لا تُفارقه بعد وفاته، فإذا شخص البصرُ، وحشرَج الصدرُ، بُشِّر المؤمنُ برضوان الله وكرامته، وبرحمته وجنته، وإذا وُضع في قبره، فسح له فيه مدَّ بصره، ويُصبح قبرُه روضة من رياض الجنة، و(إِذَا زُلْزِلَتِ ٱلْأَرْضُ زِلْزَالَهَا ① وَأَخْرَجَتِ ٱلْأَرْضُ أَثْقَالَهَا) (الزلزلة: ١-٢)، وخرج الناسُ من قبورهم، حفاةً عراةً غُرلاً، تلقّت الملائكة المؤمنين، مهنئين لهم ومبشرين، كل ذلك توددٌ من الرحمن الرحيم: (إِنَّ ٱلَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُم مِّنَّا ٱلْحُسْنَىٰٓ أُو۟لَٰٓئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ ⑩١ لَا يَسْمَعُونَ حَسِيسَهَا ۖ وَهُمْ فِى مَا ٱشْتَهَتْ أَنفُسُهُمْ خَٰلِدُونَ ⑩٢ لَا يَحْزُنُهُمُ ٱلْفَزَعُ ٱلْأَكْبَرُ وَتَتَلَقَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ هَٰذَا يَوْمُكُمُ ٱلَّذِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ) (الأنبياء: ١٠١-١٠٣).

من فيوضات اسم الله الودود على العبد:

أُمّةَ الإسلام: إنَّ من حُسن تودُّد الربِّ-سبحانه- لعباده المؤمنين، وسعة عطائه لهم يوم الدين، ما أخبَر به النبيُّ صلى الله عليه وسلم، عن حال أدنى أهل الجنة منزلة يوم القيامة، فكيف بما أعدّه الله لعباده الصالحين في الجنة، التي فيما لا عينٌ رأت، ولا أذنٌ سمعت، ولا خطر على قلب بشر؛ ففي صحيح مسلم، عَن ابْن مَسْعُود-رضي الله عنه-، أنَّ رَسُول الله صلى الله عليه وسلم قال: "آخرُ مَنْ يَدْخل الجَنَّة رَجُل، فَهُوَ يَمْشي مَرَّةً، ويَكْبُو مَرَّةً، وتَسْفَعُهُ النَّارُ مَرَّةً، فإذا ما جاوَزها التَفَتَ إليْها، فقال: تبارَكَ الَّذي نجَّاني منك، لقَدْ أعْطاني الله شَيْئًا ما أعْطاهُ أحدًا من الأوَّلين والآخرين، فترفعُ لهُ شجرةٌ، فيَقُول: أيْ ربِّ، أدْنني من هذه الشَّجرة فلأسْتظلَّ بظلّها، وأشرَبْ من مائها، فيقُول الله-عزَّ وجلَّ-: يا ابْنَ آدم، لعلّي إنْ أعْطيْتُكها سألْتني غَيْرَها، فيقُول: لا، يا ربِّ، ويُعاهدُهُ أنْ لا يسْألَه غَيْرَها، وربُّه يعْذرُهُ لأنَّهُ يرى ما لا صبْرَ لهُ عليْه، فيُدْنيه منْها، فيَسْتَظلُّ بظلّها، ويشْرَبُ منْ مائها، ثُمَّ ترْفعُ لهُ شجرةٌ هي أحْسنُ من الأولى، فيقُول: أيْ ربِّ، أدْنني منْ هذه لأشْرَبَ منْ مائها، وأسْتظلَّ بظلّها، لا أسْألُكَ غَيْرَها، فيقُولُ: يا ابْنَ آدم، ألَمْ تُعاهدْني أنْ لا تسْألني غيْرَها، فيقُول: لعَلّي إنْ

أدنيتك منها تسألني غيرها، فيعاهده أنْ لا يسأله غيرها، وربه يعذره لأنه يرى ما لا صبر له عليه، فيدنيه منها فيستظل بظلها، ويشرب من مائها، ثم ترفع له شجرة عند باب الجنة هي أحسن من الأوليين، فيقول: أي رب، أدنني من هذه لأستظل بظلها، وأشرب من مائها، لا أسألك غيرها، فيقول: يا ابن آدم، ألم تعاهدني أنْ لا تسألني غيرها، قال: بلى يا رب، هذه لا أسألك غيرها، وربه يعذره لأنه يرى ما لا صبر له عليها، فيدنيه منها، فإذا أدناه منها فيسمع أصوات أهل الجنة، فيقول: أي رب أدخلنيها، فيقول: يا ابن آدم ما يصريني منك؟ -أي: أي شيء يرضيك، ويقطع السؤال بيني وبينك- أيرضيك أن أعطيك الدنيا ومثلها معها؟ قال: يا رب، أتستهزئ مني وأنت رب العالمين؟". فضحك ابن مسعود -رضي الله عنه-، فقال: ألا تسألوني مم أضحك، فقالوا: مم تضحك، قال: هكذا ضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقالوا: مم تضحك يا رسول الله، قال: "من ضحك رب العالمين، حين قال: أتستهزئ مني وأنت رب العالمين؟ فيقول: إني لا أستهزئ منك، ولكني على ما أشاء قادر".

وفي الرواية الأخرى: يقول له الرب -عز وجل-: "أترضى أن يكون لك، مثل ملك ملك من ملوك الدنيا؟ فيقول: رضيت رب، فيقول: لك ذلك، ومثله، ومثله، ومثله، ومثله، فقال في الخامسة: رضيت رب، فيقول: هذا لك وعشرة أمثاله، ولك ما اشتهت نفسك، ولذت عينك".

فاتقوا الله -عباد الله-، وتودوا إليه كما تودد إليكم بنعمه وفضله، وأحبوه كما أحبكم، وأحسنوا إلى خلقه، كما أحسن إليكم، أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: (فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ) (السجدة: ١٧).

من وجوه التعبد لله بمعاني اسم الودود

معاشر المؤمنين: إنّ الله -تعالى- يُحب مقتضى أسمائه وصفاته؛ فالمؤمن الودود، محبوب عند الله -عز وجل-، وإنّ من التعبد باسم الله الودود، مودة الرجل لزوجته، ورفقه بها، ومودة المرأة لزوجها، وحسن عشرتها له، ففي السنن الكبرى للبيهقي، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "خيرُ نسائكم الودودُ الولود، المواتية المواسية، إذا اتقين الله"، فخير النساء، من جمعت بين توددها لربها؛ باتباع مرضاته، وتوددها لزوجها، بتتبع محابه، وخير الرجال، من كان خيرًا لأهله، ففي سنن الترمذي: عن عائشة -رضي الله عنها- قالت: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "خيركم خيركم لأهله، وأنا خيركم لأهلي"، والحياة الزوجية لها ركنان، أحدهما المودة: (وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِّتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ) (الروم: ٢١).

وحسن المصاحبة للأقربين، وتذكر جميل الآخرين، والوفاء للآباء الراحلين، هو من مقتضى العمل باسم الله الودود، فعن ابن عمر -رضي الله عنهما-، أنّ رجلًا من الأعراب، لقيه بطريق مكة، فسلم عليه عبد الله، وحمله على حمار كان يركبه، وأعطاه عمامة، كانت على رأسه، فقال ابن دينار: فقلنا له: أصلحك الله، إنهم الأعراب، وإنهم يرضون باليسير، فقال عبد الله: إنّ أبا هذا كان ودًا لعمر، وإني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: "إنّ أبر البر، صلة الولد أهل ود أبيه" (رواه مسلم).

وإنّ من أسباب نشر المودة في المجتمعات، إفشاء السلام، والتسامح بين الناس، وحب الخير لهم، وادخال السرور عليهم، والرفق بضعفائهم، ومساعدة فقيرهم، فعن ابن عمر رضي الله عنهما، أنّ رجلًا جاء إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال: يا رسول الله، أيُ الناس أحبُ إلى الله؟ وأيُ الأعمال أحبُ إلى الله؟، فقال صلى الله عليه وسلم: "أحبُ الناس إلى الله -تعالى-، أنفعهم للناس، وأحبُ الأعمال إلى الله -تعالى-، سرور تدخله على مسلم، أو تكشف عنه كربة، أو تقضي عنه دينًا، أو تطرد عنه جوعًا، ولأن أمشي مع أخي في حاجة، أحبُ إلي من أن أعتكف في هذا المسجد شهرًا"، يعني مسجده صلى الله عليه وسلم بالمدينة، (رواه الطبراني بإسناد حسن).

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

أيام الصبر

إعداد الشيخ: صلاح عبد الخالق

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على الصادق الأمين.

وبعد: فلا شك أننا نعيش شيئًا من أيام الفتن والمحن "أيام خَدَّاعَاتٌ، يُصَدَّقُ فِيهَا الكَاذِبُ، ويُكَذَّبُ فِيهَا الصَّادِقُ، ويُؤْتَمَنُ فِيهَا الخَائِنُ، ويُخَوَّنُ فِيهَا الأَمِينُ"؛ أيام تجعل الحليم حيران، نجد البُعد عن دين الله وانحلالًا أخلاقيًا، نجد غربة للدين وأهله، وأخبرنا الصادق المصدوق صلى الله عليه وسلم عن هذه الأيام وسماها أيام الصبر وأخبرنا عن النجاة منها.

تعريف أيام الصبر:

(١) أيام الصبر هي أيام الابتلاء في الدين والشهوات المستعرة والشبهات المستحكمة. (فصل الخطاب في الزهد والرقائق ٢/٤).

(٢) قَالَ الجَعْبَرِيُّ: أَيْ: هَذَا الزَّمَانُ زَمَانُ الصَّبْرِ؛ لأَنَّهُ قَدْ أُنْكِرَ المَعْرُوفُ وَعُرِفَ المُنْكَرُ وفَسَدَتِ النِّيَّاتُ، وَظَهَرَتِ الخِيَانَاتُ، وَأُوذِيَ المُحِقُّ، وَأُكْرِمَ المُبْطِلُ. (مرقاة المفاتيح ٨/٣٣٦٥).

من فضائل التمسك بالدين في أيام الصبر:

١- للعامل في أيام الصبر أجر عبادة خمسين صحابيًا من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم: عَنْ أبي ثعلبة الخُشَنِي رضى الله عنه أنَّ نَبِيَّ اللَّه صلى الله عليه وسلم قَالَ «إِنَّ مِنْ وَرَائِكُمْ أَيَّامَ الصَّبْرِ، لِلْمُتَمَسِّكِ فِيهِنَّ يَوْمَئِذٍ بِمَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ أَجْرُ خَمْسِينَ مِنْكُمْ». قَالُوا: «يَا نَبِيَّ اللَّه، أَوْ مِنْهُمْ؟». قَالَ: «بَلْ مِنْكُمْ». رواه أبو داود (٤٣٤١) والترمذي (٣٠٥٨) وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (٤٩٤).

- (فَإِنَّ وَرَاءَكُمْ) أَيْ: قُدَّامَكُمْ مِنَ الأَزْمَانِ الآتِيَةِ. مرقاة المفاتيح (٨/٣٢١٥)

- قوله صلى الله عليه وسلم: (للمتمسك فيهن يومئذ بما أنتم عليه أجر خمسين منكم)، يعني: أن المسلم الذي يعيش في مثل هذه الأزمان-أزمان الغربة- ويعمل نفس الطاعة التي كان يعملها الصحابي يؤجر مثل خمسين صحابياً كانوا يفعلون نفس العبادة، فاستكثروا ذلك وقالوا له: (يا نبي الله! منا أو منهم- أي: هل تقصد منا أو منهم- قال: بل منكم).

(٢) المتمسك بالدين له أجر خمسين شهيداً من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم: عَنْ عَبْدِ اللَّه بْنِ مَسْعُودٍ: عَنِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم قَالَ: «إِنَّ مِنْ وَرَائِكُمْ زَمَانَ صَبْرٍ، لِلْمُتَمَسِّكِ فِيهِ أَجْرُ خَمْسِينَ شَهِيداً». فَقَالَ عُمَرُ: يا رَسُولَ اللَّه! مِنَّا

أَوْ مِنْهُمْ؟ قَالَ: «مِنْكُمْ». المعجم الكبير للطبراني (١٠٣٩٤)، صحيح الجامع (٢٢٣٤).

أ-(له أجر خمسين شهيداً) بشارة من الله عز وجل على لسان النبي صلى الله عليه وسلم لكل مؤمن يتمسك بدين الله سبحانه تبارك وتعالى في وقت غربة هذا الدين، وفي وقت كل الناس على غير دين الله سبحانه تبارك وتعالى.

ب - أي: للمتمسك بدينه أجر خمسين شهيداً، وهذا شيء عظيم ما تحلم به أبداً. فالمؤمن يدعو ربه أن يرزقه شهادة كشهادة أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم ويمكن أن يصل إليها بأن يتمسك بالدين، وأن يقبض عليه وأن يعاني في سبيل الله سبحانه وتعالى ويصبر على ذلك، مهما آذاه الخلق، ومهما تعرض له من فتن فيصبر ويتمسك، حتى يكون له أجر خمسين شهيداً أو رجلاً من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم.

ج- الرسول صلى الله عليه وسلم أخبر بأن العاملين في أيام الصبر للواحد منهم أجر خمسين من الصحابة، ولا يلزم من هذا أن يكون هؤلاء أفضل من الصحابة، فهذه خصيصة مُقيدة بهذا الزمن الصعب الضنك. (إتحاف الخلان والجماعة بشرح عقيدة أهل السنة والجماعة (٢٤).

(٣) المتمسك في أيام الصبر كالمهاجر إلى النبي صلى الله عليه وسلم: عن مَعْقِل بْنِ يَسَارٍ، رَدَّهُ إِلَى النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم قَالَ: «الْعِبَادَةُ فِي الْهَرْجِ كَهِجْرَةٍ إِلَيَّ» صحيح مسلم (٢٩٤٨).

أ- معنى الهرج: ذَكَرَ صَاحِبُ الْمُحْكَمِ لِلْهَرْجِ مَعَانِيَ وَمَجْمُوعُهَا تِسْعَةٌ شِدَّةُ الْقَتْلِ وَكَثْرَةُ الْقَتْلِ وَالِاخْتِلَاطُ وَالْفِتْنَةُ فِي آخِرِ الزَّمَانِ وَكَثْرَةُ النِّكَاحِ وَكَثْرَةُ الْكَذِبِ وَكَثْرَةُ النَّوْمِ وَمَا يُرَى فِي النَّوْمِ غَيْرُ مُنْضَبِطٍ وَعَدَمُ الْإِتْقَانِ لِلشَّيْءِ وَقَالَ الْجَوْهَرِيُّ أَصْلُ الْهَرْجِ الْكَثْرَةُ فِي الشَّيْءِ يَعْنِي حَتَّى لَا يَتَمَيَّزَ. فتح الباري (١٩/١٣).

ب- قوله: "العبادة في الهَرْج كهجرة إليَّ"؛ يعني: ثواب عبادة في زمان الفتن والمحاربة بين المسلمين كثواب هجرة من مكة إلى المدينة في زمانه قبل فتح مكة. المفاتيح في شرح المصابيح (٣٥٦/٥).

ج- سبب ذلك أن الناس في زمن الفتن يتبعون أهواءهم ولا يرجعون إلى دين فيكون حالهم شبيهًا بحال الجاهلية، فإذا انفرد من بينهم من يتمسك بدينه ويعبد ربه ويتبع مراضيه ويجتنب مساخطه كان بمنزلة من هاجر من بين أهل الجاهلية إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم مؤمنًا به متبعًا لأوامره مجتنبًا لنواهيه. (لطائف المعارف (١٣٢/١).

أسباب الحصول على هذه الأجور العظيمة وغيرها منها:

(١) لا يجدون مُعينًا على فعل الخير: أَمَّا قَوْلُهُ صلى الله عليه وسلم: «لَهُمْ أَجْرُ خَمْسِينَ مِنْكُمْ لِأَنَّكُمْ تَجِدُونَ عَلَى الْخَيْرِ أَعْوَانًا وَلَا يَجِدُونَ عَلَى الْخَيْرِ أَعْوَانًا»؛ فَهَذَا صَحِيحٌ إذَا عَمِلَ الْوَاحِدُ مِنْ الْمُتَأَخِّرِينَ مِثْلَ عَمَلٍ عَمِلَهُ بَعْضُ الْمُتَقَدِّمِينَ كَانَ لَهُ أَجْرُ خَمْسِينَ، فَهَذَا فِيهِ بُشْرَى لِلْمُتَأَخِّرِينَ بِأَنَّ فِيهِمْ مَنْ يُقَارِبُ السَّابِقِينَ. فتاوى ابن تيمية (٣٧١/١١).

- في أيام الصبر قل من يُساعدك ويدلك على فعل الخير وطاعة الله تعالى، أما في أيام الصحابة والسلف الصالح فكان فيهم الذى يُعين على فعل الخير ويحبب فيه بالقول والفعل والقدوات الحسنة.

(٢) المتدين في أيام الصبر كالقابض على الجمر: عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: «يَأْتِي عَلَى النَّاسِ زَمَانٌ الصَّابِرُ فِيهِمْ عَلَى دِينِهِ كَالْقَابِضِ عَلَى

الجمر، سنن الترمذي (٢٢٦٠) صحيح الجامع (٨٠٠٢).

- المعنى كما لا يقدر القابض على الجمر أن يصبر بإحراق يده، كذلك المتدين يومئذ لا يقدر على ثباته على دينه لغلبة العصاة والمعاصي، وانتشار الفسق وضعف الإيمان. والظاهر أن معنى الحديث: كما لا يمكن القبض على الجمرة إلا بصبر شديد، وتحمل غلبة المشقة، كذلك في ذلك الزمان لا يتصور حفظ دينه ونور إيمانه إلا لصبر عظيم وتعب جسيم، ومن المعلوم أن المشبه به يكون أقوى فالمراد به المبالغة، فلا ينافيه أن ما أحد يصبر على قبض الجمر: ولذا قال تعالى: «فَمَآ أَصْبَرَهُمْ عَلَى ٱلنَّارِ» (البقرة: ١٧٥). مع أنه قد يقبض على الجمر أيضا عند الإكراه على أمر أعظم منه من قتل نفس، أو إحراق، أو إغراق ونحوها. (مرقاة المفاتيح ٨/٣٣٦٥).

(٣) المتدين في أيام الصبر غريب في مجتمعه:

أ- عن عبد الرحمن بن سنة أنه سمع النبي صلى الله عليه وسلم يقول: "بدأ الإسلام غريبا ثم يعود غريبا كما بدأ فطوبى للغرباء. قيل: يا رسول الله ومن الغرباء؟ قال: الذين يصلحون إذا فسد الناس". مسند أحمد (١٦٦٩٠) والسلسلة الصحيحة (١٢٧٣).

ب- عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم ونحن عنده: «طوبى للغرباء» فقيل من الغرباء يا رسول الله؟ قال: «أناس صالحون في أناس سوء كثير، من يعصيهم أكثر ممن يطيعهم» مسند أحمد (٦٦٥٠)، صحيح الجامع (٣٩٢١).

(أناس صالحون) أي هم أناس متصفون بالصلاح (في أناس سوء كثير) فوصفهم بصفة الصلاح التي هي أشرف الصفات ثم بصفة كونهم في قوم خالفوهم في الصفة ولا يصلح مع فساد الكثير من قومه إلا أفراد أهل النجاة كمؤمن آل فرعون وصاحب يس.

(من يعصيهم أكثر ممن يطيعهم) لاتصاف قومهم بخلاف صفاتهم فلا يرون لهم طاعة وهؤلاء هم أتباع السنة وأهل الحق لا يزالون غرباء في كل عصر وزمان قد ملأت الدنيا البدع والتمذهبات (التنوير في شرح الجامع الصغير (١٤٥/٧).

الجزاء: قال تعالى: «ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ طُوبَىٰ لَهُمْ وَحُسْنُ مَـَٔابٍ» (الرعد: ٢٩)؛ أي: لهم حالة طيبة ومرجع حسن. وذلك بما ينالون من رضوان الله وكرامته في الدنيا والآخرة، وأن لهم كمال الراحة وتمام الطمأنينة. ومن جملة ذلك شجرة طوبى التي في الجنة. (تفسير السعدي ٤١٨/١).

«النجاة من هذه الفتن والمحن»

أولا: الصبر: وحقيقة الصبر: هو خلق فاضل من أخلاق النفس يمنع صاحبه من فعل ما لا يحسن، ولا يجمل، وهو قوة من قوى النفس التي بها صلاح شأنها، وقوام أمرها. عدة الصابرين (١٦/١).

- المؤمن يدعو ربه أن يرزقه شهادة كشهادة أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم، ويمكن أن يصل إليها بأن يتمسك بالدين، وأن يقبض عليه وأن يعاني في سبيل الله سبحانه وتعالى ويصبر على ذلك، مهما آذاه الخلق، ومهما تعرض له من فتن فيصبر ويتمسك، حتى يكون له أجر خمسين شهيدا أو رجلا من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم. (شرح الترغيب والترهيب).

من فوائد الصبر مثلاً:

أ- الله مع الصابرين: قال تعالى: «يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱسْتَعِينُوا۟ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ» (البقرة: ١٥٣).. «إن الله مع الصابرين» أي: مع من كان الصبر لهم خلقا، وصفة، وملكة بمعونته وتوفيقه، وتسديده، فهانت عليهم بذلك المشاق والمكاره، وسهل عليهم كل

عظيم، وزالت عنهم كل صعوبة، وهذه معية خاصة، تقتضي محبته ومعونته، ونصره وقربه، وهذه (منقبة عظيمة) للصابرين، فلو لم يكن للصابرين فضيلة إلا أنهم فازوا بهذه المعية من الله، لكفى بها فضلاً وشرفًا. تفسير السعدي (١/٧٤).

ب -الصبر ضياء: عَنْ أَبِي مَالِكٍ الأَشْعَرِيِّ قَالَ: قَالَ رَسُولُ صلى الله عليه وسلم: «الطُّهُورُ شَطْرُ الإِيمَانِ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ تَمْلأُ الْمِيزَانَ، وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ تَمْلآنِ- أَوْ تَمْلأُ- مَا بَيْنَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ، وَالصَّلاَةُ نُورٌ، وَالصَّدَقَةُ بُرْهَانٌ وَالصَّبْرُ ضِيَاءٌ، وَالْقُرْآنُ حُجَّةٌ لَكَ أَوْ عَلَيْكَ، كُلُّ النَّاسِ يَغْدُو فَبَايِعٌ نَفْسَهُ فَمُعْتِقُهَا أَوْ مُوبِقُهَا» صحيح مسلم (٢٢٣).

قوله (والصبر ضياء) فبين النبي صلي الله عليه وسلم في هذا الحديث أن الصبر ضياء؛ يعني يضيء للإنسان عندما تحتلك الظلمات وتشتد الكربات، فإذا صبر؛ فإن هذا الصبر يكون له ضياءا يهديه إلي الحق. ولهذا ذكر الله- عز وجل- أنه من جملة الأشياء التي يستعان بها، فهو ضياء للإنسان في قلبه، وضياء له في طريقه ومنهاجه وعلمه؛ لأنه كلما سار إلى الله- عز وجل- علي طريق الصبر؛ فإن الله تعالي- يزيده هديا وضياءا في قلبه ويبصره. شرح رياض الصالحين لابن عثيمين (١/١٨٧).

-قال تعالى: «هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ ٱلشَّمْسَ ضِيَآءً» (يونس: ٥). فضوء الصبر في الظلام كضوء الشمس.

ثانيًا: القبض بالأسنان على الكتاب والسنة وذلك بالعمل بهما: عَنْ العِرْبَاض بْن سَارِيَةَ، قَالَ: وَعَظَنَا رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم يَوْمًا بَعْدَ صَلاَةِ الْغَدَاةِ مَوْعِظَةً بَلِيغَةً ذَرَفَتْ مِنْهَا الْعُيُونُ وَوَجِلَتْ مِنْهَا الْقُلُوبُ، فَقَالَ رَجُلٌ: إِنَّ هَذِهِ مَوْعِظَةُ مُوَدِّعٍ فَمَاذَا تَعْهَدُ إِلَيْنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: «أُوصِيكُمْ بِتَقْوَى اللَّهِ وَالسَّمْعِ وَالطَّاعَةِ، وَإِنْ عَبْدٌ حَبَشِيٌّ، فَإِنَّهُ مَنْ يَعِشْ مِنْكُمْ يَرَى اخْتِلاَفًا كَثِيرًا، وَإِيَّاكُمْ وَمُحْدَثَاتِ الأُمُورِ فَإِنَّهَا ضَلاَلَةٌ فَمَنْ أَدْرَكَ ذَلِكَ مِنْكُمْ فَعَلَيْهِ بِسُنَّتِي وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ الْمَهْدِيِّينَ، عَضُّوا عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِذِ» سنن أبي داود (٤٦٠٧) وصحيح الجامع (٢٥٤٩).

- معناه المحافظة على هذه الوصية، بالصبر على مقاساة الشدائد، كمن أصابه ألم فأراد أن يصبر عليه، ولا يستغيث منه بأحد، ولا يريد أن يظهر ذلك عن نفسه، فجعل يشتد بأسنانه بعضها على بعض، وكل ما حمل عليه النواجذ من الأقاويل، فإنه يستقيم على هذا التأويل، والله أعلم. (الميسر في شرح المصابيح (١/٨٩).

ثالثا: مُصاحبة أهل الطاعة: قال تعالى: «وَٱصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِىِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ ۖ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُۥ عَن ذِكْرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمْرُهُۥ فُرُطًا» (الكهف: ٢٨).

اصبر نفسك مع أهل العلم والدين أهل الإخلاص واليقين من أصدقاء ووسائل الإعلام المختلفة التي تعينك على طاعة الله.

رابعًا: كثرة الدعاء:

قال تعالى: «رَبَّنَآ أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ» (البقرة: ٢٥٠).

عَن شَهْرِ بْنِ حَوْشَبٍ، قَالَ: قُلْتُ لأُمِّ سَلَمَةَ: يَا أُمَّ الْمُؤْمِنِينَ مَا كَانَ أَكْثَرُ دُعَاءِ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم إِذَا كَانَ عِنْدَكِ؟ قَالَتْ: كَانَ أَكْثَرُ دُعَائِهِ: يَا مُقَلِّبَ الْقُلُوبِ ثَبِّتْ قَلْبِي عَلَى دِينِكَ" سنن الترمذي (٣٥٢٢) وصححه الألباني.

والحمد لله رب العالمين.

دراسات قرآنية

الأمثال في القرآن

مثل الذين حملوا التوراة

إعداد الشيخ مصطفى البصراتي

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله صلى الله عليه وسلم.. وبعد:

ففي هذا المقال نتكلم عن مثل آخر من الأمثال القرآنية، وهو في سورة الجمعة في الآية الخامسة، وهي قوله تعالى: « مَثَلُ ٱلَّذِينَ حُمِّلُوا۟ ٱلتَّوْرَىٰةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ ٱلْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًۢا ۚ بِئْسَ مَثَلُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ ۚ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّـٰلِمِينَ » (الجمعة: ٥).

التفسير الإجمالي

قال ابن كثير رحمه الله في تفسيره: (يقول الله تعالى ذامًا لليهود الذين أعطوا التوراة وحملوها للعمل بها، فلم يعملوا بها مثلهم في ذلك كمثل الحمار يحمل أسفارًا، أي كمثل الحمار إذا حمل كتبًا لا يدري ما فيها فهو يحملها حملاً حسيًا ولا يدري ما عليه، وكذلك هؤلاء في حملهم الكتاب الذي أوتوه، حفظوه لفظًا ولم يفهموه ولا عملوا بمقتضاه بل أوّلوه وحرّفوه وبدّلوه فهم أسوأ حالاً من الحمير؛ لأن الحمار لا فهم له، وهؤلاء لهم فهوم لم يستعملوها، ولهذا قال تعالى في الآية الأخرى: « أُو۟لَـٰٓئِكَ كَٱلْأَنْعَـٰمِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْغَـٰفِلُونَ » (الأعراف: ١٧٩)، وقال تعالى هاهنا « بِئْسَ مَثَلُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ ۚ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّـٰلِمِينَ »). اهـ.

معاني المفردات:

« مَثَلُ ٱلَّذِينَ حُمِّلُوا۟ ٱلتَّوْرَىٰةَ » أي كلفوا القيام بها والعمل بما فيها.

« ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا » أي لم يعملوا بموجبها، ولا أطاعوا ما أمروا به فيها، ولم يؤدوا حقها.

« كَمَثَلِ الْحِمَارِ » الذي هو أبلد الحيوان فخصّ بالذكر؛ لأنه في غاية الغباوة.

« يَحْمِلُ أَسْفَارًۢا » حال أو صفة للحمار؛ إذ ليس المراد به حمارًا معينًا، فهو حكم النكرة؛ إذ المراد به الجنس.

« بِئْسَ مَثَلُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ » الذين ظلموا أنفسهم بتكذيب الأنبياء يعني من سبق في علمه أنه لا يهديهم.

« وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّـٰلِمِينَ » يعني الكافرين على العموم، فيدخل فيهم اليهود دخولاً أوليًا والمراد بهم الذين سبق في علمه أنهم لا يؤمنون وإلا فقد هدى كثيرًا من الكفار. (المفردات مستفادة من تفسير فتح البيان لصديق حسن القنوجي وتفسير البغوي).

التفسير المفصل

قال ابن القيم رحمه الله في قول الله تعالى: « مَثَلُ ٱلَّذِينَ حُمِّلُوا۟ ٱلتَّوْرَىٰةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ ٱلْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًۢا » الغرض تشبيه حال اليهود في جهلها بما معها من التوراة وآياتها الباهرة بحال الحمار في جهله بما يحمل من أسفار الحكمة وتساوي الحالين عند من يحمل أسفار الحكمة، وحمل ما سواها من الأحمال،

ولا يشعر ذلك إلا بما يريد فيه من الكد والتعب. (اجتماع الجيوش الإسلامية، ص ١٦).

وقال أيضًا في «هداية الحيارى ٢٨٦»: من جهلهم أن الله سبحانه شبّههم في حملهم التوراة، وعدم الفقه فيها والعمل بها بالحمار يحمل أسفارًا، وفي هذا التشبيه من النداء على جهالتهم وجوه متعددة.

منها: أن الحمار من أبلد الحيوانات التي يُضرب بها المثل في البلادة.

ومنها: أنه لو حمل غير الأسفار من طعام أو علف أو ماء لكان له به شعور بخلاف الأسفار.

ومنها: أنهم حملوها لا أنهم حملوها طوعًا واختيارًا بل كانوا كالمكلفين لما حملوه لما يرفعوا به رأسًا.

ومنها: أنهم حيث حملوها تكليفًا وقهرًا لم يرضوا بها ولم يحملوها رضًا واختيارًا وقد علموا أنهم لابد لهم منها وأنهم إن حملوها اختيارًا كانت لهم العاقبة في الدنيا والآخرة.

ومنها: أنها مشتملة على مصالحهم ومعاشهم ومعادهم وسعادتهم في الدنيا والآخرة فإعراضهم عن التزام ما فيه سعادتهم وفلاحهم إلى ضده من غاية الجهل والغباوة وعدم الفطانة. اهـ.

ما أقبح ما يمثل به للمكذبين الذين كذبوا بآيات الله، وما أشنع هذا التشبيه وهو تشبيه اليهود بالحمار، فإياكم أن تكونوا أيها المسلمون مثلهم، والله لا يوفق للحق والخير القوم الكافرين، بنحو عام، ومنهم اليهود بالأولى فقوله: «بِئْسَ مَثَلُ الْقَوْمِ» معناه وتقديره: بئس المثل مثل القوم. (التفسير الوسيط: ٢٦٥٦/٣، لوهبة الزحيلي).

والآية الكريمة تفيد ذمه تعالى وعيبه على اليهود الذين أعطاهم التوراة وأمرهم بتلاوتها وتعلمها وتعليمها والعمل بما فيها من الشرائع والأحكام فعملوا بها وقتًا من الزمان ثم شرعوا في التبديل والتغيير والزيادة والنقص، وهذه الآية فيها ذمّ لهم ولمن شابههم من هذه الأمة، بقوله: «مَثَلُ الَّذِينَ حُمِّلُوا التَّوْرَاةَ» أي كُلفوا تعلمها وتدبُّرها والعمل بما فيها من العبادات والشرائع، والحدود والأخلاق «ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا» لم يستقيموا على امتثال أوامرها من الشرائع والأحكام والحدود واجتناب نواهيها مع الإنجيل والإيمان بعيسى عليه السلام قبل بعثة الرسول محمد صلى الله عليه وسلم والإيمان به وبما جاء به وبيان صفته للناس «كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا» نسخًا من أسفار التوراة على ظهره ولا يدري ما على ظهره ولا يناله إلا التعب والعناء كالذين يقرأون القرآن ويسمعونه في الإذاعات وغيرها ولا يعملون به ويستبدلون أحكامه بالقوانين الغربية والشرقية فيكون حجة عليهم يوم القيامة.

«بِئْسَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ» وبراهينه الدالة على تفرُّده بالعبادة وتنزهه عن الشريك والصاحبة والولد، وعلى صدق رسالة محمد صلى الله عليه وسلم وما جاء به ووجوب اتباعه، «وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ» المعارضين والمخالفين لكتابه وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم لا يوفقهم للهداية والسعادة لكمال غناه تعالى عنهم وعن عبادتهم (تفسير القرآن بالقرآن، أحمد بن عبد الرحمن القاسم).

من فوائد الآية:

١) قاس من حمله سبحانه كتابه ليؤمن به ويتدبره ويعمل به ويدعو إليه ثم خالف ذلك ولم يحمله إلا عن ظهر قلب، فقراءته بغير تدبر ولا تفهم ولا اتباع ولا تحكيم له ولا عمل بموجبه، كحمار على ظهره زاملة أسفار لا يدري ما فيها فحفظه منها: حملها على ظهره ليس إلا، فحظ هذا من كتاب الله كحظ هذا الحمار من الكتب التي على ظهره. فهذا المثل وإن كان قد ضرب لليهود فهو متناول من حيث المعنى لمن حمل القرآن فترك العمل به، ولم يؤد حقه ولم يرعه حق رعايته.

٢) «يَحْمِلُ أَسْفَارًا» حال أو صفة للحمار، إذ ليس المراد به حمارًا معينًا، فهو حكم النكرة، إذ المراد به الجنس، والأسفار جمع سفر، وهو الكتاب الكبير، لأنه يسفر عن المعنى إذا قرئ (مستفاد من بدائع التفسير، لابن القيم- وفتح البيان، لصديق حسن).

والحمد لله رب العالمين.

من روائع الماضي

كمال الشريعة

إعداد: **فضيلة الشيخ محمد صفوت نور الدين**
رحمه الله

الحمد لله سبحانه أنزل على نبيه يوم عرفة بحجة الوداع قوله تعالى: «ٱلۡيَوۡمَ أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ وَأَتۡمَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ نِعۡمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلۡإِسۡلَٰمَ دِينٗا» (المائدة: ٣)، تلك الآية التي نزلت يوم عرفة في حجة الوداع قبل موت النبي صلى الله عليه وسلم بقرابة تسعين يومًا جاءت بأكمل نعم الله سبحانه في الدين الكامل. فإذا أضفنا لذلك أن محمدًا صلى الله عليه وسلم جاء بخاتم الشرائع كان لهذا الإكمال والإتمام عظيم القدر عند من علمه ووعاه.

هذا، وينبغي أن نعلم أن الله الذي أتم الشرع هو الذي قدر المقادير، فقدر سبحانه الأحداث التي وقعت ليطبق الشرع، فما حدث من سرقة المخزومية وقطع يدها، أو زنا الغامدية ورجمها، إنما هو تقدير رب العالمين لإكمال شرعه بإظهار المثال لتطبيق الحدود، فلا يجيز لنا ما ذكر أن نستبيح عرض إحداهما، وبيان ذلك أن المخزومية تقول عنها عائشة رضي الله عنها: فحسنت توبتها بَعْدُ وتزوجت وكانت تأتيني بعد ذلك فأرفع حاجتها إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأما الغامدية فقال النبي صلى الله عليه وسلم عنها: «لقد تابت توبة لو تابها صاحب مكس لغفر له»، ثم أمر بها فصلى عليها ودفنت.

وكذلك الحال في كثير من الأصحاب الذين وقعت منهم هنات وأخطاء، ثم تابوا منها، بل والكثير منهم بشره النبي صلى الله عليه وسلم بالجنة؛ كحاطب بن أبي بلتعة الذي كاتب قريشًا يفشي سر النبي صلى الله عليه

وسلم يغزو مكة، قال النبي صلى الله عليه وسلم: «إن يدخل الجنة».

فهذه نعمة الله علينا أوضح لنا تفاصيل الشريعة بالنص قرآنا وسنة، ثم بالتطبيق في الأحداث التي قدرها الله سبحانه.

> أوضح الله تعالى لنا تفاصيل الشريعة بالنص ثم بالتطبيق في الأحداث التي قدّرها الله.

فكانت هذه الأحداث التي وقعت علمًا جمًا، صار الصحابة بها أعلم الناس، وقدر الله سبحانه فأطال أعمار رجال من الصحابة، فكثر نقل العلم عنهم؛ كأنس وعائشة وأبي هريرة وعبد الله بن عباس وعبد الله بن عمر، فالتف الناس حولهم في كافة مدن الإسلام، فكانوا مدارس يتخرج فيها العلماء من التابعين مثل كريب الذي كان مولاً لابن عباس، وسعيد بن المسيب الذي كان زوجًا لبنت أبي هريرة، وعروة بن الزبير الذي كان ابنًا لأخت عائشة، وسالم الذي كان ولدًا لعبد الله بن عمر، فكانت البيوت والمساجد معاهد علم يجتمعون فيها ويتدارسون العلم ويتناظرون في المسائل، وأذكر من هذه المجالس ما كان في مجلس ابن عباس رضي الله عنهما من حضور أبي هريرة الصحابي المعروف، وحضور كريب مولى ابن عباس وحضور أبي سلمة بن عبد الرحمن بن عوف التابعي المعروف، وسؤال سائل عن عدة المرأة التي يموت زوجها وهي حامل، فأفتى ابن عباس بأنها تعتد بأبعد الأجلين، فسأله أبو سلمة عن حال سبيعة الأسلمية التي مات زوجها وولدت بعده بعشرين ليلة، وأذن لها النبي صلى الله عليه وسلم في الزواج، فقال: أبو هريرة: أنا مع ابن أخي، يعني أنا مؤيد لاعتراض أبي سلمة بن عبد الرحمن، فأرسل ابن عباس غلامه كريبًا إلى أم سلمة يسألها فذكرت له حديث سبيعة، فرجع ابن عباس إلى قول أم سلمة الذي يقول به أبو سلمة وأبو هريرة رجوعًا للحق بعد أن علمه.

ففي وفرة الصحابة الكرام، الذين كانوا في العلم أئمة، وفي الفقه قادة، وفي الجهاد أبطالاً، أوجد الله سبحانه الأحداث الكثيرة والفتن العظيمة؛ ليكون التطبيق بالمثال موضحًا للنص والمقال، حيث ظهرت فرق الضلال من الخوارج والروافض والجهمية والقدرية، فرد الصحابة على أقوالهم ليظهر الحق جليًا نصًا بالقرآن والسنة، وفهمًا بأقوال الصحابة، وتطبيقًا بمواقفهم ومناظراتهم، ومن أمثلة ذلك مناظرة ابن عباس للخوارج عندما دخل عليهم فسألوه: ما جاء بك يا ابن عباس؟ فقال: جئتكم من عند صحابة النبي صلى الله عليه وسلم، وليس فيكم منهم أحد، فكانت هذه الكلمة موجعة للخوارج؛ لأن معناها: لو كان معكم من الحق شيء لكان بينكم من الصحابة من يقول بقولكم، فإذا كان ليس بينكم من الصحابة أحد، والصحابة جميعًا مع علي بن أبي طالب، فأنتم الآن على باطل، ثم سألهم عن الشبهات التي عندهم، وأجابهم عنها، فرجع أكثرهم وبقي القليل الذين قتلوا يوم الحرة في قتال الخوارج حين قاتلهم علي بن أبي طالب، رضي الله عنه.

لهذا وغيره كانت عقيدة أهل السنة في الصحابة حبهم والترضي عنهم، والسكوت عما شجر بينهم، والإيمان بأنهم خير القرون، وأن صفة أهل الضلالة بغض الصحابة أو الانتقاص منهم أو نسبة السوء إليهم، حيث إن الله هو الذي اختارهم أصحابًا لنبيه صلى الله عليه وسلم، فلقد

أخرج البخاري عن أبي سعيد الخـدري، ومسلم عـن أبـي هريرة رضي الله عنهما قال: قـال النبي صلى الله عليه وسلم: «لا تسبوا أصحابي، فلو أن أحدهم أنفق مثل أحد ذهبًا ما بلغ مد أحدهم ولا نصيفه».

وأخرج مسلم في «صحيحه» عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال: صلينا المغرب مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ثـم قلنا: لـو جلسنا حتى نصلي العشاء، قـال: فجلسنا فخرج علينا، فقال: «ما زلتم هاهنا»، قلنا: يا رسول الله، صلينا معك المغرب، ثم قلنا: نجلس حتى نصلي معك العشاء، قال: «أحسنتم، أو أصبتم»، قال: فرفع رأسه إلى السماء، وكان كثيرًا ما يرفع رأسه إلى السماء، فقال: «النجوم أمنة للسماء، فإذا ذهبت النجوم أتى السماء ما توعد، وأنا أمنة لأصحابي، فإذا ذهبت أتى أصحابي ما يوعدون، وأصحابي أمنة لأمتي فإذا ذهب أصحابي أتى أمتي ما يوعدون».

ومعنى: أمنة: كحفظة وكتبة، جمع أمين، وهو الحافظ، فالصحابة بما ورثوه من علم وفقه من النبي صلى الله عليه وسلم في الأقـوال والأفعال ودلالات الأحوال أقدر الناس على تطبيق النصوص وانزالها على الحـوادث، فبهم قويت الأنوار، وبذهابهم تزداد الظلمة، وهـذا حث على التمسك بفهمهم والتخلق بأخلاقهم.

وأخرج البخاري ومسلم عن عمران بن حصين رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم

قـال: «إن خيـركم قرني، ثـم الذين يلونهم، ثم الذين يلـونهم، ثم الذين يلونهم».

> “ مـع وقـوع بعض الصحابة في الكبائر فـإن الله تعالى حـرّم سبّهم لعظيم فضلهم. ”

قـال عمـران: فـلا أدري أقـال رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد قرنه قرنين أو ثـلاثـا، ثم يـكـون بـعـدهـم قـوم يشهدون ولا يستشهدون ويخونون ولا يؤتمنـون وينـذرون ولا يوفون ويظهر فيهم السمن. والأحاديث في ذلك كثيرة جدًا.

وفي هذه القرون الثلاثة أظهر الله سبحانه بقدره أقوال أهل البدع والضلال، حيث يتوفر أهل العلم الذين ردوا على أصحاب البدع بدعهم، ونصروا المنهج الحق الذي ورثوه عن النبي صلى الله عليه وسلم، وشـرحـوا لمن لقيهم من التابعين السنة الصحيحة، فأراد الله بقدره ألا يتأخر ظهور البـدع حتى ذهـاب أهـل العلم فيحتار الناس في ردها أو قبولها، فمن فضل الله تعالى ظهور هذه البدع في وفرة الصحابة وعلماء التابعين؛ ليبقى ردهم علمًا يتبعه الناس وهو الذي سميَ: (منهج أهل السنة والجماعة).

هذه الكلمات القصيرة هامة، حتى لا تزيغ بنا الأهواء مع أقوال الضلال، وإن لبّسوا على الناس أن لهم أدلة على أقوالهم من القرآن أو من السنة، فإنها شبهات رد عليها الصحابة وأهـل القرون الفاضلة بالعلم الذي ورثوه عن النبي صلى الله عليه وسلم، فلتنتبه أخَ الإسلام، ولا يغرنّك أقـوال الكُتّاب يظنون بأقوالهم أنهم أصـابـوا المعقول ووافـقـوا المنقول، فاعلم أن شبهات فرق الضلال تتكرر في كل زمان، وجواب الصحابة وأهل القرون الفاضلة عليهم لا تزال هي منهج أهل السنة والجماعة، الـذي من تـركه وقـع في حبائل الشيطان، وضل مع أهل الضلال. والله يهدي من يشاء.

والحمد لله رب العالمين.

جماعة أنصار السنة المحمدية

تأسست عام 1345هـ - 1926م

ومن أهدافها

- الدعوة إلى التوحيد الخالص من جميع الشوائب، وإلى حب الله حبًّا صحيحًا صادقًا يتمثل في طاعته وتقواه، وحب رسول الله صلى الله عليه وسلم حبًّا صادقًا يتمثل في الاقتداء به واتخاذه أسوةً حسنة.

- الدعوة إلى أخذ الدين من نبعيه الصافيين - القرآن الكريم، والسنة الصحيحة - ومجانبة البدع والخرافات ومحدثات الأمور.

- الدعوة إلى ربط الدنيا بالدين بأوثق رباط: عقيدةً وعملاً وخلقًا.

- الدعوة إلى إقامة المجتمع المسلم، والحكم بما أنزل الله، فكل مشرِّع غيره - في أي شأن من شئون الحياة - معتدٍ عليه سبحانه، منازع إياه في حقوقه.

مفاجأة

التوحيد
أوسع المجلات
الإسلامية انتشاراً في العالم
٤٩
مجلداً
اطلبوها من باعة الصحف والمكتبات
٨ شارع قولة - عابدين ت: ٢٩٣٦٥١٧-٢٩١٥٤٥٦

سعر الكرتونة

١٠٠٠ جنيه مصري بدلا من ١٢٥٠

لأول ١٠٠ من المشترين

هدايا
قيمة

التوحيد
مجلة
إسلامية
ثقافية
شهرية

يوجد مجلدات لسنوات مختلفة سعر المجلد الواحد ٢٥ جنيهًا بدلا من ٤٠ جنيهًا

للحصول على الكرتونة الاتصال على الأستاذ / ممدوح عبد الفتاح : مدير قسم الحسابات بالمجلة

01008618513